كامل ومسطرة ٢١

الشفا
للقاضي عياض

٢١٨٣

٤٤٢١٤

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الكريم وعلى آله وسلم

قال الشيخ الفقيه القاضي الإمام الحافظ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه

الحمد لله المنفرد باسمه الأسمى ۞ المختص بالملك
الأعز الأحمى ۞ الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى ۞ الظاهر لا تخيلا و
وهما ۞ والباطن تقدسا لا عدما ۞ وسع كل شيء رحمة وعلما ۞ وأسبغ
على أوليائه نعما عما ۞ وبعث فيهم رسولا من أنفسهم عربا وعجما
وأزكاهم محتدا ومنمى ۞ وأرجحهم عقلا وحلما ۞ وأوفرهم علما وفهما
وأقواهم يقينا وعزما ۞ وأشدهم بهم رأفة ورحمى ۞ زكاه روحا وجسما
وحاشاه عيبا ووصما ۞ وآتاه حكمة وحكما ۞ وفتح به أعينا عميا
وقلوبا غلفا وآذانا صما ۞ فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم

السعادة

السعادة قسما ۞ وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتما ۞
ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى ۞ صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى
وعلى آله وسلم تسليما عظيما أما بعد
أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين ۞ ولطف لي ولك بما لطف بأوليائه
المتقين ۞ الذين شرفهم الله بنزل قدسه ۞ وأوحشهم من الخليقة بأنسه
وخصهم من معرفته ۞ ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته ۞ بما ملأ قلوبهم
حبرة ۞ ووله عقولهم في عظمته حيرة ۞ فجعلوا همهم به واحدا ولم يروا
في الدارين غيره ۞ فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون ۞ وبين آثار قدرته
وعجائب عظمته يترددون ۞ وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون ۞
لهجين بصادق قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ۞ فإنك
كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام
وما يجب له من توقير وإكرام ۞ وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر
أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر ۞ وأن أجمع لك ما لأسلافنا وأئمتنا
في ذلك من مقال ۞ وأبينه بتنزيل صور وأمثال ۞ فاعلم
أكرمك الله أنك حملتني من ذلك أمرا إمرا ۞ وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا
وأرقيتني بما كلفتني مرتقى صعبا ۞ ملأ قلبي رعبا ۞ فإن الكلام في ذلك
يستدعي تقرير أصول ۞ وتحرير فصول ۞ والكشف عن غوامض ودقائق
من علم الحقائق ۞ مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم ويضاف إليه أو يمتنع
أو يجوز عليه ۞ ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والخلة والمحبة
وخصائص هذه الدرجة العلية ۞ وهاهنا مهامه فيح تحار فيها القطا
وتقصر بها الخطا ۞ ومجاهل تضل فيها الأحلام ۞ إن لم تهتد بعلم علم ونظر

وتدبير ❀ الم تعتمد على خوفي من الله ❀ ومراجعتي فيما ادراه ❀ سريرتي

لكني بما رجوته لي ولك بهذا السؤال والجواب ❀ من نوال وثواب ❀ بتعريفه

قدره الجسيم ❀ وخلقه العظيم ❀ وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق ❀

وما يدين الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ❀ ليستيقن الذين أوتوا

الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولما اخذ الله على الذين أوتوا الكتاب

لتبيننه للناس ولا يكتمونه ولما حدثنا به ابو الوليد

هشام بن احمد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا ابو عمر

النمري قال ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الاشعث ثنا موسى

ابن اسماعيل ثنا حماد انا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه الجمه الله تعالى بلجام من نار

يوم القيامة فبادرت الى نكت مسفرة عن وجه الغرض ❀ مؤدية

من ذلك الحق المفترض ❀ اختلستها على استعجال ❀ لما المرء بصدده من شغل

البدن والبال ❀ بما طوقه من مقاليد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل

فرض ونفل ❀ وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ❀ ولو اراد الله تعالى

بالانسان خيرا لجعل شغله ❀ وهمه كله ❀ فيما يحمد غدا وامسى محله ❀ فليس

ثم سوى نضرة النعيم ❀ او عذاب الجحيم ❀ ولكان عليه بخويصته ❀ واستنقاذ

مهجته ❀ وعمل صالح يستزيده ❀ وعلم نافع يفيده او يستفيده ❀ جبر الله

صدع قلوبنا ❀ وغفر عظيم ذنوبنا ❀ وجعل جميع استعدادنا ❀ لمعادنا

وتوفر دواعينا فيما ينجينا ❀ ويقربنا اليه تعالى زلفى ويحظينا ❀ بمنه ورحمته

ولما نويت تقريبه ❀ ودرجت تبويبه ❀ ومهدت

تأصيله ❀ وخلصت تفصيله ❀ وانتحيت حصره وتحصيله ❀

ترجمته

ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى

وحصرت الكلام فيه في اقسام اربعة

القسم الاول

في تعظيم العلي الاعلى ❀ لقدر هذا النبي قولا وفعلا ❀ وتوجه الكلام فيه في

اربعة ابواب

الباب الاول

في ثنائه تعالى عليه • واظهاره عظيم قدره لديه • وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا • وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية

فيه نسقا • وفيه سبعة وعشرون فصلا

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته • وما خصه به

في الدارين من كرامته • وفيه اثنا عشر فصلا

الباب الرابع

فيما اظهره الله تعالى على يديه من الآيات والمعجزات • وشرفه به من الخصائص

والكرامات • وفيه ثلاثون فصلا

القسم الثاني

فيما يجب على الانام ❀ من حقوقه عليه السلام ❀ ويترتب القول فيه في

اربعة ابواب

الباب الاول

في فرض الايمان به ووجوب طاعته • واتباع سنته • وفيه خمسة فصول

الباب الثاني

في لزوم محبته ومناصحته، وفيه ستة فصول

الباب الثالث

في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره، وفيه سبعة فصول

الباب الرابع

في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته، وفيه عشرة فصول

القسم الثالث

فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه، وما يمتنع ويصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه. وهذا القسم أكرمك الله هو سر الكتاب، ولباب ثمرة هذه الأبواب، وما قبله له كالقواعد والتمهيدات، والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات، وهو الحاكم على ما بعده، والمنجز من غرض هذا التأليف وعده، وعند التقصي لموعده، والتفصي عن عهدته، يشرق صدر العدو اللعين، ويشرق قلب المؤمن باليقين، وتملأ أنواره جوانح صدره، ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره. ويتحرر الكلام فيه في بابين

الباب الأول

فيما يختص بالأمور الدينية، ويتشبث به القول في العصمة، وفيه ستة عشر فصلا

الباب الثاني

في أحواله الدنيوية، وما يجوز طروؤه عليه من الأعراض البشرية، وفيه تسعة فصول

القسم الرابع

في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه السلام، وينقسم

الكلام فيه في بابين

الباب الأول

في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض أو نص، وفيه عشرة فصول

الباب الثاني

في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته، وذكر استتابته والصلاة عليه ووراثته، وفيه عشرة فصول. وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسألة، ووصلة للبابين اللذين قبله، في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه. واختصر الكلام فيه في خمسة فصول، وبتمامها ينتجز الكتاب، وتتم الأقسام والأبواب، ويلوح في غرة الإيمان لمعة منيرة، وفي تاج التراجم درة خطيرة، تزيح كل لبس، وتوضح كل تخمين وحدس، وتشفي صدور قوم مؤمنين، وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين. وبالله تعالى لا إله سواه أستعين.

القسم الأول

في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى قولا وفعلا

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله: لا خفاء على من مارس شيئا من العلم، أو خص بأدنى لمحة من الفهم، بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام، وخصوصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام، وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام. فمنها ما صرح به تعالى في كتابه، ونبه به على جليل نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه، فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى، ثم طهر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى

ثم أتاه الجزاء الأوفى فله الفضل بدءا وعودا والحمد أولى وآخرا **ومنها** ما أظهره تعالى للعيان من خلقه على أتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والأخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من أدركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا وفاضت أنواره علينا صلى الله عليه وسلم كثيرا. **حدثنا** القاضي الشهيد أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله قراءة مني عليه قال حدثنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار وأبو الفضل أحمد بن خيرون قالا حدثنا أبو يعلى البغدادي قال حدثنا أبو علي السنجي قال حدثنا محمد بن أحمد بن محبوب قال حدثنا أبو عيسى بن سورة الحافظ قال حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة أسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فارفض عرقا

الباب الأول في ثناء الله تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه

اعلم أن في كتاب الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى وعد محاسنه وتعظيم أمره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول

الفصل الأول

فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية. **قال** السمرقندي وقرأ بعضهم من أنفَسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم. **قال القاضي رحمه الله** أعلم الله تعالى المؤمنين أو العرب أو أهل مكة أو جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب أنه بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة **وهو** عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى إلا المودة في القربى وكونه من أشرفهم وأرفعهم وأفضلهم على قراءة الفتح **وهذه** نهاية المدح **ثم** وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم وإسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليهم ورأفته ورحمته بمؤمنيهم. **قال** بعضهم أعطاه اسمين من أسمائه رؤوف رحيم **ومثله** في الآية الأخرى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم **وفي** الآية الأخرى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم الآية **وقوله** تعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الآية. **روي** عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم في قوله من أنفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا نكاح. **قال ابن الكلبي** كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية. **وعن ابن عباس** في قوله وتقلبك في الساجدين قال من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبيا. **وقال** جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة والرحمة وأخرجه إلى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله **وقال تعالى** وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين **قال** أبو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا

صلى الله عليه وسلم في نبيه الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه
شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما إلى كل محبوب ألا ترى أن الله
يقول وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه
وسلم حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وكما قال عليه السلام إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا **وقال** السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والإنس
وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير
العذاب **قال ابن عباس** رضي الله عنه هو رحمة للمؤمنين وللكافرين إذ عوفوا مما
أصاب غيرهم من الأمم المكذبة **وحكي** أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه
السلام هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله
علي بقوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين **وروي** عن جعفر بن محمد
الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى فسلام لك من أصحاب اليمين أي بك إنما وقعت سلامتهم من
أجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم **وقال تعالى** الله نور السماوات والأرض الآية
قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى مثل
نوره أي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادي أهل السماوات
والأرض ثم قال مثل نور محمد إذ كان مستودعا في الأصلاب كمشكاة صفتها كذا وأراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره أي كأنه كوكب دري لما فيه من الإيمان والحكمة توقد من شجرة مباركة أي
من نور إبراهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعالى يكاد زيتها يضيء
أي تكاد نبوة محمد عليه السلام تتبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت **وقد** قيل في
هذه الآية غير هذا والله أعلم **وقد** سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا
الموضع نورا وسراجا منيرا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

ومن

ومن هذا قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر
هنا القلب **قال** ابن عباس شرحه بنور الإسلام **وقال** سهل التستري بنور الرسالة **وقال**
الحسن ملأه حكما وعلما وقيل معناه ألم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك
وزرك الذي أنقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعني قبل النبوة وقيل أراد ثقل أيام الجاهلية
وقيل أراد ما أثقل ظهرك من الرسالة حتى بلغتها حكاه الماوردي والسلمي وقيل عصمناك ولولا
ذلك لأثقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي ورفعنا لك ذكرك **قال** يحيى بن آدم
بالنبوة وقيل إذا ذكرت ذكرت معي في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل في الأذان
قال الفقيه القاضي رضي الله عنه هذا تقرير من الله جل اسمه
لنبيه عليه السلام على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه بأن شرح
قلبه للإيمان والهداية ووسعه لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية
عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة أعباء
الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه **قال** قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة
فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول
الله **وروى** أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال إن ربي وربك
يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي
قال ابن عطاء جعلت تمام الإيمان بذكرك معي **وقال** أيضا جعلتك ذكرا من ذكري
فمن ذكرك ذكرني **قال** جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة إلا ذكرني بالربوبية
وأشار بعضهم في ذلك إلى الشفاعة **ومن ذكره معه تعالى** أن قرن طاعته بطاعته
واسمه باسمه فقال وأطيعوا الله والرسول وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو
العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في غيره عليه السلام **حدثنا**

الشيخ أبو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما أجازنيه وقرأته على الثقة عنه، أبو عمر
النمري، أبو محمد بن عبد المؤمن، أبو بكر بن داسة، أبو داود، أبو الوليد الطيالسي
شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار، عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
لا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء فلان، ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان. **قال الخطابي**
أرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه
واختارها بثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك. **ومثله**
الحديث الآخر أن خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: بئس خطيب القوم أنت، قم، أو قال
اذهب. **قال** أبو سليمان: كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية
وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على يعصهما، وقول أبي سليمان أصح لما روي في الحديث
الصحيح أنه قال: ومن يعصهما فقد غوى، ولم يذكر الوقوف على يعصهما. **وقد**
اختلف المفسرون وأصحاب المعاني في قوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبي، هل
يصلون راجعة على الله والملائكة أم لا، فأجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك
وخصوا الضمير بالملائكة وقدروا الآية: إن الله يصلي وملائكته يصلون. **وقد**
روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: من فضيلتك عند الله أن جعل طاعتك طاعته فقال:
من يطع الرسول فقد أطاع الله. **وقد** قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الآية. **روي** أنه لما نزلت هذه الآية قالوا: إن محمدا يريد أن نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى، فأنزل الله: قل أطيعوا الله والرسول، فقرن طاعته بطاعته رغما
لهم. **وقد** اختلف المفسرون في معنى قوله في أم الكتاب: اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم، فقال أبو العالية والحسن البصري: الصراط المستقيم هو
رسول الله وخيار أهل بيته وأصحابه، حكاه عنهما أبو الحسن الماوردي. **وحكى** مكي عنهما

نحوه

نحوه، وقال: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. **وحكى**
أبو الليث السمرقندي مثله عن أبي العالية في قوله: صراط الذين أنعمت عليهم، قال: فبلغ ذلك
الحسن فقال: صدق والله ونصح. **وحكى** الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين أنعمت عليهم
عن عبد الرحمن بن زيد. **وحكى** أبو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم في تفسير قوله تعالى: فقد
استمسك بالعروة الوثقى، أنه محمد عليه السلام، وقيل: الإسلام، وقيل: شهادة التوحيد.
وقال سهل في قوله تعالى: وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها، قال: نعمته بمحمد عليه السلام.
وقال تعالى: والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون، الآية. أكثر المفسرين
على أن الذي جاء بالصدق هو محمد. **قال** بعضهم: وهو الذي صدق به، وقرئ: وصدق به
بالتخفيف. **وقال** غيرهم: الذي صدق به المؤمنون، وقيل: أبو بكر، وقيل: علي، وقيل غير هذا
من الأقوال. **وعن** مجاهد في قوله تعالى: ألا بذكر الله تطمئن القلوب، قال: بمحمد عليه السلام
وأصحابه.

الفصل الثاني

في وصفه له تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة. **قال الله عز وجل**:
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، الآيتين. جمع الله تعالى له في هذه الآية
ضروبا من رتب الأثرة وجملة أوصاف من المدحة، فجعله شاهدا على أمته لنفسه بإبلاغهم
الرسالة، وهي من خصائصه عليه السلام، ومبشرا لأهل طاعته، ونذيرا لأهل معصيته
وداعيا إلى توحيده وعبادته، وسراجا منيرا يهتدى به للحق. **حدثنا**
الشيخ أبو محمد بن عتاب رحمه الله، أبو القاسم حاتم بن محمد، أبو الحسن القابسي، أبو
زيد المروزي، أبو عبد الله محمد بن يوسف، البخاري، محمد بن سنان، فليح، هلال، عن عطاء
ابن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا

ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا **وذكر** مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار رضي الله عنهما **وفي** بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس **وفي** حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحمادون لله على كل حال **وقال تعالى** الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآية **و**قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية **قال** السمرقندي ذكرهم الله تعالى منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك **وقال تعالى** وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **قال** ابو الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الآية وفي قوله تعالى في الآية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس **و**كذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية **و**قوله تعالى وسطا اي عدلا خيارا **و**معنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان

جعلناكم

جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق **وقيل** ان الله جل جلاله اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء عليهم السلام ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم **وقيل** معناه انكم حجة على من خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي **وقال تعالى** وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم **قال** قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم **وعن** الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم عليه السلام **وعن** ابي سعيد الخدري رضي الله عنه هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم **وقال** سهل التستري هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم **وقال** محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة **فمن ذلك قوله تعالى** عفا الله عنك لم اذنت لهم **قال** ابو محمد مكي هذا استفتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله **وقال** عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب **حكى السمرقندي** عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب **وفي** هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب **قال نفطويه** ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو

لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم. قال القاضي
أبو الفضل وفقه الله: يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه
أن يتأدب بآداب القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف
الحقيقية وروضة الآداب الدينية والدنيوية. وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة
في السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب إن كان ثم ذنب. وقال
تعالى: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. قال بعض المتكلمين
عاتب الله الأنبياء بعد الزلات وعاتب نبينا قبل وقوعه ليكون بذلك أشد انتهاء
ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية. ثم انظر كيف بدأ بثباته
وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته
وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته. ومثله قوله تعالى: قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
فإنهم لا يكذبونك الآية. قال علي رضي الله عنه: قال أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم
إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله فإنهم لا يكذبونك الآية. وروي
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك فقال كذبني
قومي فقال إنهم يعلمون أنك صادق فأنزل الله الآية. ففي هذه الآية منزع لطيف
المأخذ من تسليته تعالى له عليه السلام وإلطافه به في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم
وأنهم غير مكذبين له معترفين بصدقه قولا واعتقادا. وقد كانوا يسمونه قبل
النبوءة الأمين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم
جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم
بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون ممن علم الشيء ثم أنكره كقوله
وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا. ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده

النصر

النصر بقوله تعالى: ولقد كذبت رسل من قبلك الآية. فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا. وقال الفراء والكسائي: لا يقولون إنك كاذب. وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه.
ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك إلى الكذب. وقيل لا يعتقدون كذبك. ومما
ذكر من خصائصه وبره تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال يا
آدم يا نوح يا هود يا صالح يا إبراهيم يا داوود يا عيسى يا زكرياء يا يحيى ولم يخاطب هو
إلا يا أيها الرسول يا أيها النبي يا أيها المزمل يا أيها المدثر.

الفصل الرابع

في قسمه تعالى بعظيم قدره. قال الله تعالى: لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون. اتفق
أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد عليه الصلاة والسلام
وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال. ومعناه وبقائك يا محمد. و
قيل وعيشك وقيل وحياتك. وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف. قال
ابن عباس: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد وما سمعت الله أقسم
بحياة أحد غيره. قال أبو الجوزاء: ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه
وسلم لأنه أكرم البرية عنده. وقال تعالى: يس والقرآن الحكيم الآيات. اختلف
المفسرون في معنى يس على أقوال. فحكى أبو محمد مكي أنه روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال: لي عند ربي عشرة أسماء ذكر أن منها طه ويس اسمان له. وحكى
أبو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم.
وعن ابن عباس: يس يا إنسان أراد محمدا وقال هو قسم وهو من أسماء الله عز وجل.
وقال الزجاج: قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا إنسان. وعن ابن الحنفية: يس
يا محمد. وعن كعب: يس قسم أقسم الله به قبل أن يخلق السماء والأرض بألفي عام يا محمد إنك

انك لمن المرسلين ثم قال والقرءان الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم
وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الاخر
عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته.
اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من
ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى
لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تاويل من قال يا سيد
ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد ادم وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت
حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم
به وانت به يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك
ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله وانت حل بهذا البلد و
نحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه
بها فان كونه امان حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد ادم فهو عام ومن قال
هو ابراهيم وما ولد فهي ان شاء الله اشارة الى محمد عليه السلام فتتضمن السورة القسم به
في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام
اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري
الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد عليه السلام وحكى هذا القول
السمرقندي ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرءان لا ريب
فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه
باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله ق والقرءان المجيد اقسم الله بقوة قلب
حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه

لعلو

لعلو حاله وقيل هو قسم بالقرءان وقيل اسم لله تعالى وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا
وقال جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد عليه السلام وقال النجم قلب محمد
صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء
في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة
اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر
نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحي فنزلت
السورة قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله تضمنت هذه السورة
من كرامة الله له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره
به من حاله بقوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات
المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي
ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث قوله وللاخرة
خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي ما لك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك
من كرامة الدنيا وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما
اعطيتك في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه اية
جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة قال
ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل يعطيه الحوض والشفاعة و
روي عن بعض ال النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس اية في القرءان ارجى منها
ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما

عنه الله تعالى قلبه من تحيره وقد رءى من آياته فبلغ في بغية الشهرة من مراتبه الى ما تنزاه
له الوضر آية انه اعز به على اختلاف التفسير ولا مال له ولا عشاه بما رآه او بما حفظه في قلبه
من نقاعة ودعيتي وبعيا مجرب عليه عمه وتأويله البه وقيل اوءاه الى الله وقيل بعيا
لا امتثال لها قاله وانما البه وقيل المعنى الم يجز ما يبرى بلمطالة واغشى بعمايلاد وادى بعلم
بنتيماء كريم بصره المنير وانه على المعلوم من التعبيه لم يميله في حال صعقه وعليه ونعمه
وقيل مع فيه به ولا وذعه ولا افلاه فكيف بعد احتياطه واضعفا به الثناء بين
امره بالاحتفاء بخمسة عليه وتملكه ملامة فدبه بنتبهم واتسابه ذكره بقوله ولعل اتعجمه
ربه محبة فلان من شكاي النعمة اليعرة بها وهذا حاصل له على القشيره وقال تعالى
والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله والنجم
بأقوال معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه محمد
عليه الصلاة والسلام وقال هو قلب محمد وقد قيل في قوله تعالى والسماء
والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم
حكاه السلمي تضمنت هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما تقف دونه
العد واقسم جل اسمه على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلاه
وانه وحي يوحى اوصله اليه عن الله جبريل وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن
فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رءاه وانه رأى
من آيات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا تعالى في اول سورة الاسراء ولما
كان ما كاشفه به عليه السلام من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط
به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية
الدالة على التعظيم فقال فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام
يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى

لقد

لقد رأى من آيات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين
تلك الآيات الكبرى قال الفقيه القاضي وفقه الله اشتملت
هذه الآيات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه السلام وعصمتها من الآفات
في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وزكى قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما
رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى
وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان
رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله
من الوحي مكين اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم امين في السماء
امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد فجميع الاوصاف
بعد على هذا له وقال غيره هو جبريل فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا
قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل في صورته وما هو على الغيب بضنين اي بمتهم ومن قرأه بالضاد
فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد باتفاق وقال تعالى
ن والقلم الآيات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى مما غمصته
الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة
ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الآداب في المحاورة
ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به
عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته
وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل
القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال
الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه
جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير

وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم
سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون
الثلاث آيات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه
متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله
فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق
بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم
من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت في ديوان مجده

الفصل السادس

فيما ورد من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى
طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلاة والسلام
وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف مقطعة
لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية
عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو
قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي
ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ حدثنا ابو محمد الحموي حدثنا ابراهيم
ابن خزيم الشاشي حدثنا عبد بن حميد حدثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى
طه يعني طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من

الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام كما قيل او جعلت قسما
لحق الفضل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع
نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا
او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين
ثم قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن
هذا الباب قوله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون الى آخر السورة وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية
قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من
تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من
رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها
لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول
من لقي ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم
اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي
كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع

فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة
رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة
الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله محمدا بفضل

ليؤمنن به ولينصرنه ومعنى ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد عليه السلام قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية الى قوله وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل نبينا عليه الصلاة والسلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي محمد مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة في

والرسالة

والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد اي ان من شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل المراد به نوح عليه السلام

الفصل الثامن

في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا لعذبنا الآية وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الآية ايضا تاويل آخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد ابن يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال عليه الصلاة والسلام انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم

ما عاشر وما دامت تشتد بالخفية محو بلا وما دام الجنين تشتد ما تنجح الصلاة والعشر **وقال تعالى** إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية، أبان الله فضل نبيه بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه **وقد** حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على أن في صلاة الله تعالى وملائكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة **والصلاة** من الملائكة ومنا له دعاء ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون **وقد** فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه إن شاء الله **وذكر** بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص أن الكاف من كاف أي كفاية الله لنبيه قال أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له قال أيدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال إن الله وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم **وقال تعالى** وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية مولاه أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر وعمر وقيل علي وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته **قال الله تعالى** إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون **قال** بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي أنك مغفور لك **وقال** مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عند الله لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل **ثم** قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك **وقيل** بفتح مكة والطائف **وقيل** يرفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم **ثم** قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية فعد محاسنه وخصائصه من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم **وقيل** شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب **وقيل** بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب **وقيل** محذرا من الضلالات لتؤمنوا بالله ثم بي من سبقت له من الله الحسنى ويعزروه أي يجلونه **وقيل** ينصرونه **وقيل** يبالغون في تعظيمه **ويوقروه** أي يعظمونه **وقرأ** بعضهم ويعززوه بزايين من العز **والأكثر** والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم **ثم** قال وتسبحوه فهذا راجع إلى الله تعالى **قال ابن عطاء** جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة **وقال** جعفر بن محمد من تمام نعمته أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه إلى الأحمر والأسود وأحل له ولأمته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله أحد ركني التوحيد **ثم** قال إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك

أبابيل بل الله هو وإبراهيم يد الله فوق أيديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده
ومنه الاستعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه وعظم شأن المبايع
صلى الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وإن كان الأول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة
لأن القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق رميه وفعله وقدرته عليه ومسببه
ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ
عينيه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الأخرى
على وجه المجاز العربي ويوقع مقابلة اللفظ ومناسبته أي ما قتلتموهم إذ قتلتموهم وما
رميتهم أنت إذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع أي أن
منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وأنت بالاسم

الفصل العاشر

فيما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الإسراء في سورة
سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد
من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس
وقوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله إلا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله
به عنه في هذه القصة من أذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في أمره والأخذ
على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات
ونزول السكينة وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار
وحديث الهجرة ومنه قوله إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن

الكلبي

شانئك

إن شانئك هو الأبتر أعلمه الله تعالى بما أعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير
الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم أجاب عنه
عدوه ورد عليه قوله فقال إن شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك والأبتر الحقير الذليل
أو المفرد الوحيد أو الذي لا خير فيه وقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الأول والقرآن العظيم أم القرآن وقيل السبع
المثاني أم القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن من أمر ونهي وبشرى
وإنذار وضرب مثل وإعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت أم القرآن مثاني
لأنها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد وادخرها له دون الأنبياء وسمي
القرآن مثاني لأن القصص تثنى فيه وقيل السبع المثاني أكرمناك بسبع كرامات الهدى
والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال وأنزلنا إليك
الذكر لتبين الآية وقال وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا أيها الناس
إني رسول الله إليكم جميعا الآية قال القاضي فهذه من خصائصه وقال تعالى وما أرسلنا من
رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا إلى الخلق كافة كما قال عليه
السلام بعثت إلى الأحمر والأسود وقال تعظيما ومن قبلها والله تعالى خاطب
الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها الرسول وحكى
السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة على محمد أي
من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل
المراد نوح وقال تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم
قال أهل التفسير أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماض عليهم
كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس وأزواجه أمهاتهم
أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولأنهن له

أزواجه في الآخرة وقد قيل رسولا لهم وابعثوا به دلالة أنه العبد المحض وقال تعالى
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الأزل وأشار الواسطي إلى
أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم

الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم أن
خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة
الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله تعالى زلفى ثم
هي على فنين أيضا منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما
الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته
وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال
حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته
إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد
تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة وأما المكتسبة الأخروية
فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي

جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة
لبعض الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة
شعبة كما سنبينه إن شاء الله تعالى وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه
الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة
وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل

إذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة
منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة
أو سماحة حتى يعظم قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب
أثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت
فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة
إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء و
الإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والحوض المورود والبراق والمعراج والبعث إلى الأحمر والأسود
والصلاة بالأنبياء والشهادة على الأنبياء والأمم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد
والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة
للعالمين وإعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما
تقدم وما تأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة
والدعاء إلى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الإصر والأغلال
عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء الموتى

جماعها

وانصياع الشجر ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وتسليم الحجر
والشجر وحنين الجذع إليه وتسليم الضب عليه وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على
الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه
محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد الله له في
الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة
التي تقف دونها العقول ويحار دونها الأوهام

فصل

إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم
أعلى الناس قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال
الكمال مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا.
فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك.
أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا
لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها
مبلغ القطع. أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار
الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب
وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس و
معرض بن معيقيب وأبي الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم
من أنه صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب الأشفار أبلج أزج
أقنى أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع
الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين
والقدمين سائل الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن

ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه
وسلم رجل الشعر إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي
كالنور يخرج من ثناياه أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم
قال البراء ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس
تجري في وجهه وإذا ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه
صلى الله عليه وسلم مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
أم معبد في بعض ما وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفي
حديث ابن أبي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي في صفته كأن
ماء الذهب يجري في صفحة خده ويرى نور الجلال يتهلل في أسارير جبينه وفي آخر وصفه
له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله
والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسرد ما وقد
اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد إلى المطلوب إن
شاء الله وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك إن شاء الله

فصل

وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار وعورات الجسد
فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال
الفطرة العشر وقال بني الدين على النظافة حدثنا أبو محمد سفيان بن
العاصي وغير واحد قالوا حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازي قال حدثنا أبو أحمد الجلودي قال حدثنا
ابن سفيان عن مسلم حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال ما شممت عنبرا قط ولا
مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة

أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار
قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس
الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في
دار أنس فعرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه
الكبير عن جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه
من طيبه وروى المزني عن جابر أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم
النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وذكر إسحاق بن راهويه أن تلك كانت رائحته
بلا طيب صلى الله عليه وسلم وقد حكى بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله
عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت
لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم وأسند محمد بن سعد كاتب الواقدي في
هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي الخلاء
فلا نرى منك شيئا من الأذى فقال يا عائشة أوما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء
فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة
الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض أصحاب الشافعي وقد
حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا أنه لم يكن منه
شيء يكره ولا غير طيب صلى الله عليه وسلم ومنه حديث علي غسلت النبي صلى
الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا ومثله
قال أبو بكر حين قبل النبي بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم أحد ومصه
إياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب

عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك
ولم ينكر عليه وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي
وجع بطنك أبدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عودة وحديث هذه المرأة التي
شربت بوله صحيح ألزم الدارقطني مسلما والبخاري إخراجه في الصحيح واسم هذه المرأة
بركة واختلف في نسبها وقيل هي أم أيمن وكانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت
وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل
فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وأنا عطشانة فشربته
وأنا لا أعلم روى حديثها ابن جريج وغيره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولد
مختونا مقطوع السرة وعن عائشة ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط وعن علي أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فإنه لا يرى أحد عورتي
إلا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له
غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لأنه كان صلى الله عليه وسلم محفوظا

فصل

وأما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته و
حسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق و
ظواهرهم وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما أفاضه
من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم
يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لأول بديهة وهذا مما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه وقد
قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها أن النبي صلى الله عليه وسلم
أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية أخرى فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم
يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم

ولا كحلة زحل من جمال الدنيا **وقال** مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين **وفي** الموطأ عنه عليه السلام اني لأراكم من وراء ظهري **ونحوه** عن انس في الصحيحين **وعن** عائشة مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته **وفي** بعض الروايات اني لأنظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي **وفي** اخرى اني لأبصر من قفاي كما ابصر من بين يدي **وحكى** بقي بن مخلد عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء **والاخبار** كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملائكة والشياطين **ورفع** النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده **وقد حكي** عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما **وهذه** كلها محمولة على رؤية العين **وهو** قول احمد بن حنبل وغيره **وذهب** بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما **اخبرنا** ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه ثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن احمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى **وقد** جاءت الاخبار بأنه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام **وصارع** ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال ابو هريرة** ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كأنما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث **وفي** صفته ان ضحكه كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى

تقلعا كأنما ينحط من صبب

فصل

وأما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم ألسنة العرب يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه **وليس** كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن **وانظر** كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تأكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح **وقوله** لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تثاقل عن الصلاة **وكتابه لهم** في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة

ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب **وفيه** في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه

مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض
الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال **اين هذا** من كتابه لانس في الصدقة
المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ
استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون **وكقوله**
في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا **وقوله** في حديث العامري حين سأله فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر **وأما**
كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس
فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة **كقوله** المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من
سواهم **و**قوله الناس كاسنان المشط **و**المرء مع من احب **و**لا خير في صحبة من لا يرى لك ما
ترى له **و**الناس معادن **و**ما هلك امرؤ عرف قدره **و**المستشار مؤتمن **و**هو بالخيار
ما لم يتكلم **و**رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم **و**قوله اسلم تسلم واسلم
يؤتك الله اجرك مرتين **و**ان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم
اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون **و**قوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل
بما لا يغنيه **و**قوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها **و**نهيه عن قيل وقال وكثرة
السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات **و**قوله اتق الله
حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن **و**خير الامور اوساطها
وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما **و**قوله الظلم ظلمات
يوم القيامة **وقوله** في بعض دعائه اللهم اني اسألك رحمة من عندك تهدي بها
قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي

بها

بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسألك الفوز
في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى ما روته الكافة
عن الكافة من مقاماته ومحاوراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف
انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره **وقد**
جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها كقوله
حمي الوطيس ومات حتف انفه **و**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين **و**السعيد من وعظ بغيره
في اخواتها مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اداني حكمها
وقد قال له اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل
القرآن بلساني لسان عربي مبين **وقال** مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت في بني
سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة
الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي
لا يحيط بعلمه بشري **وقالت ام معبد** في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر
ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا
بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب
واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده
حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله قال حدثنا ابو الوليد
سليمن بن خلف ثنا ابو ذر عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق وابو الهيثم قالوا
ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد
المقبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم

قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم
تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة
ابن الاسقع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث
عن ابن عمر رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم
بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا
ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا
من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن
ابن عباس ان قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل ان يخلق آدم بالفي عام يسبح ذلك
النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله آدم القى ذلك النور في صلبه وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح
وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بهذا
المعنى شعر العباس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما ما تدعو الضرورة اليه من ضروريات الحياة مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب ضرب الفضل
في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه فأما ما التمدح
والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم ولم تزل العرب
والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص

والشره وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد وخثارة النفس
وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء
الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم
الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب
وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا
من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار
من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم
به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من ذلك بالاقل هذا ما لا يدفع
من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما بارتباط احدهما بالآخر حدثنا
ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ ثنا سليمان
ابن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثنا معاوية بن صالح ان يحيى بن جابر حدثه عن
المقدام بن معديكرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن
حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه
ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر
الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد
روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي
وعن عائشة لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله
لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض
على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله صلى الله عليه
وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمهم انه
لا يستأثر عليهم به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة

ولنا هدية

ونيل مرتبة وفي حكمة لقمان يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع
وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أما أنا فلا آكل متكئا والاتكاء هو
التمكن للأكل والتقعدد في الجلوس له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها
الجالس على ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل ويستكثر منه والنبي صلى
الله عليه وسلم إنما كان جلوسه للأكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول إنما أنا عبد آكل كما
يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند
المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع
ذلك فقد قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان نومه على جانبه الأيمن استظهارا
على قلة النوم لأنه على الجانب الأيسر أهنأ لهدوء القلب وما يتعلق به من الأعضاء الباطنة
حينئذ لميلها إلى الجانب الأيسر فيستدعي ذلك الاستثقال فيه والطول وإذا نام النائم
على الأيمن تعلق القلب وقلق فأسرع الإفاقة ولم يغمره الاستغراق

فصل

والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه
أما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية وأما في الشرع فسنة مأثورة
وقد قال ابن عباس أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم ونهى عن
التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله
من كان ذا طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح
في الزهد قال سهل بن عبد الله قد حببن إلى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه

لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح
وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد
أن يلقى الله عزبا فإن قيل كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا
يحيى بن زكرياء قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما يعد
فضيلة وهذا عيسى تبتل من النساء ولو كان كما قررتموه لنكح فاعلم أن ثناء
الله على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه كان هيوبا أو لا ذكر له بل قد أنكر هذا
حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالأنبياء وإنما
معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح
نقص وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله
كيحيى فضيلة زائدة لكونها مشغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى الدنيا ثم
هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة علياء
وهي درجة نبينا عليه السلام الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زادته ذلك
عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته إياهن بل صرح أنها ليست
من حظوظ دنياه هو وإن كانت من حظوظ دنيا غيره فقال حبب إلي من دنياكم فدل
على أن حبه لما ذكر من النساء والطيب اللذين هما من أمور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولأنه أيضا
مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك أسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لأجل غيره وقمع
شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك
ميز بين الحبين وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد
ساوى يحيى وعيسى في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم

ممن أقدر على الغض فيه من وأعطي الكثير منه ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره
وقد روينا عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من
الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال أنس وكنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا
خرجه النسائي وروي نحوه عن أبي رافع وقد قال سليمان عليه السلام لأطوفن
الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين وأنه فعل ذلك قال ابن عباس كان
في ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وقد
كان لداود على زهده وأكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج أوريا مائة
وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وفي
حديث أنس عنه عليه السلام فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع
وقوة البطش وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه
عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى وجيها في الدنيا والآخرة لكن
آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده
وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الأرض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من
الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه
ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا
حاجته وأخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته
من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة
وفي حديث أبي مسعود أن رجلا قام بين يديه فأرعد فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم هون عليك فإني لست بملك الحديث فأما عظيم قدره بالنبوة وشريف
منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ
النهاية ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا سرد القسم بأسره

فصل

23

فصل

وأما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لأجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به إلى
حاجاته وتمكن أغراضه بسببه وإلا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بيد الشخص
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وأمله وتصريفه في مواضعه مشتريا به
المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا وإذا
صرفه في وجوه البر وأنفقه في سبل الخير وقصد بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة
عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على
جمعه عاد كثره كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل
أوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فإذا التمدح بالمال وفضيلته عند
مفضليه ليست لنفسه وإنما هو للتوصل به إلى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه
إذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير مليء بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح
عند أحد من العقلاء بل هو فقير أبدا غير واصل إلى غرض من أغراضه إذ ما بيده من المال
الموصل لها لم يسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه ليس في يده منه شيء
والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وإن لم يبق في يده من المال شيء فانظر
سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد
وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه صلى الله عليه وسلم في حياته بلاد الحجاز
واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها
وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الأقاليم
فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهما بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يبيت عندي منه دينار إلا دينارا أرصده

لديه وما انفق من حقوقه في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو
ضرورته إليه ومن فيما سواه فكان يقتصر ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء
الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع
لمن لم يحضر إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من
سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير
مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي إلى الشهرة في الطرفين **وقد** ذم الشرع ذلك وغاية
الفخر به في العادة عند الناس إنما يعود إلى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال **وكذلك**
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته **ومن**
ملك الأرض وجبي إليه ما فيها فتركه زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية
ومالك للفخر بهذه الخصلة إن كانت فضيلة زائد عليها في الفخر ومعرق في المدح بإضرابه
عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع
العقلاء على تفضيل الشخص بالتحلي بواحد منها فضلا عما فوقه وأثنى الشرع على
جميعها وأمر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء
النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها
دون الميل إلى منحرف أطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا على الانتهاء والاعتدال على
كمالها وكمالها والاعتدال إلى غايتها حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وإنك لعلى
خلق عظيم **قالت** عائشة كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه
وقال عليه السلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق **قال أنس** كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم أحسن الناس خلقا **وعن علي** بن أبي طالب مثله **و**كان فيما ذكره المحققون مجبولا

عليها في أصل خلقته وأول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة إلا بجود إلهي وخصوصية
ربانية **و**هكذا لسائر الأنبياء **و**من طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك كما عرف
من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم بل غرزت فيهم هذه الأخلاق في الجبلة وأودعوا
العلم والحكمة في الفطرة **قال الله تعالى** وآتيناه الحكم صبيا **قال المفسرون**
أعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه **وقال معمر** كان ابن سنتين أو ثلاث فقال
له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت **و**قيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى
بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له أنه كلمة الله وروحه **و**قيل صدقه وهو في بطن
أمه فكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له **وقد**
نص الله على كلام عيسى لأمه عند ولادتها إياه بقوله لها ألا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها
وعلى قول من قال إن المنادي عيسى **و**نص على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا **وقال** ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما **وقد**
ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود
أبوه **وحكى** الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما **وكذلك**
قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل **وقال** المفسرون في قوله
ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره **وقال ابن عطاء**
اصطفاه قبل إبداء خلقه **وقال** بعضهم لما ولد إبراهيم بعث الله إليه ملكا يأمره
عن الله أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده **و**قيل
إن إلقاء إبراهيم في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وإن ابتلاء إسحاق بالذبح وهو
ابن سبع سنين وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر
شهرا **وقيل** أوحي إلى يوسف وهو صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب بقوله
تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا الآية إلى غير ذلك مما ذكر من أخبارهم

وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء وقال في حديثه لما نشأت
بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين
فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار
المعارف في قلوبهم حتى يبلغوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوءة في
تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما
بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه
الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما
نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة
وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب
معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيه وكل ميسر لما
خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة أو مكتسبة
فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن
عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو والصحيح ما أصلناه وقد روى سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب وقال
عمر بن الخطاب في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الأخلاق
المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه
صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله

فصل

أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن

والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء
الفضائل وتجنب الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه عليه الصلاة والسلام وبلوغه
منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع عنه
متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله
وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء
وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل
الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه صلى الله
عليه وسلم فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير
ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم
ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره
وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان
القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما
لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه
وسلم إلى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته
وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه.

فصل

وأما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة والصبر على ما يكره وبين هذه الألقاب
فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند
الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك المؤاخذة
وهذا كله مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف

دابة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها
فقال له حتى أسأل العالم ثم ذهب ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما أصابك الآية
وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا وليصفحوا الآية وقال ولمن
صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وأن كل حليم قد
عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى إلا
صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد
ابن علي التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب ثنا أبو بكر بن واقد القاضي وغيره ثنا أبو عيسى
ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله
فينتقم لله بها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج
وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال إني لم
أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي
عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح
على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من
عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا
خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخلق وكرم
النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى
عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر أو اهد ثم أظهر سبب

الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما
قال له الرجل اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله
ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل
ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به
ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة
فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من
يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال
من يمنعك مني قال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في
الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد
أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك
لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا
بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه وعن أنس كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي بردائه جبذة شديدة حتى
أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله
الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم
قال لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل
له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط
إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء إليه برجل فقيل هذا

أراد أن يقتله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط علي
وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ
بمجامع ثيابه وأغلظ له ثم قال إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول
والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وهو كنا إلى غير
هذا منك أحوج يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي
من أجله ثلاث وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب
إسلامه وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في
محمد إلا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل إلا حلما فاختبرته
بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره وعفوه
عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى
الجاهلية ومصابرته الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم
وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال
ما تقولون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف
لا تثريب عليكم اليوم الآية اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس هبط ثمانون
رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا
فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وهو الذي كف أيديهم عنكم
الآية وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب وقتل عمه وأصحابه
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله
إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه
أيضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب
نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو
الجود وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الأخلاق الكريمة
ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي الصدفي رحمه الله ثنا القاضي أبو الوليد الباجي ثنا أبو ذر الهروي ثنا الكشميهني
وأبو محمد السرخسي وأبو الهيثم البلخي قالوا ثنا أبو عبد الله بن يوسف ثنا البخاري ثنا
محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم شيئا فقال لا وعن أنس وسهل بن سعد مثله وقال ابن عباس كان
النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان وكان إذا
لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه
غنما بين جبلين فرجع إلى بلده وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة
وأعطى غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه
كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل إنك تحمل
الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف وأعطى
العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعت على
حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا
تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق

ولا تخش من ذي العرش إقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا أمرت خرجه الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه
وسلم بقناع من رطب يريد طبقا وأجر زغب يريد قثاء فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا
وقال أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد وعن أبي هريرة
أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل

فصل

وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل
والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف وكان
صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر
الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما
شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه حدثنا
أبو علي الجياني فيما كتب إلي ثنا القاضي سراج ثنا أبو محمد الأصيلي ثنا أبو زيد الفقيه ثنا محمد
ابن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء
وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ
بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد
المطلب قال فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه
وسلم عن بغلته وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى
المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ
بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث

وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه
شيء وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى
اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد
رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من
أشد الناس يومئذ بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
إذا دنا العدو لقربه منه وعن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل
الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت وقد
استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال
عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب ولما
رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله
عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبي على
فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه
وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه
فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس
لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة

فصل

وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته
أو ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته وكان
النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال
الله سبحانه إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق الآية
وحدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله تعالى بقراءتي عليه نا أبو القاسم حاتم
ابن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا عبدان نا
عبد الله انا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى أنس عن أبي سعيد الخدري كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه
وكان صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء
وكرم نفس وعن عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه
لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون كذا ينهى عنه ولا يسمي
فاعله وروى أنس أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا
بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة
في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا
في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا
الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص وروي عنه أنه كان من
حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره
وعن عائشة ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط

فصل

وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق
فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه
السلام كان أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة
حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه وقرأته على غيره
نا أبو إسحاق الحبال نا أبو محمد بن النحاس نا ابن الأعرابي نا أبو داود نا هشام أبو مروان ومحمد
ابن المثنى قالا نا الوليد بن مسلم نا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن
ابن أسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة
في آخرها فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال إما أن تركب وإما أن تنصرف
فانصرفت وفي رواية أخرى اركب أمامي وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد
منهم بشره ولا خلقه يتفقد أصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن
أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار
لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة قال وكان دائم البشر
سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل
عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا
غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن الآية وكان
يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال أنس خدمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم
صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن
خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال لبيك

لتبكي وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت
ولا رآني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم و
يجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى
المدينة ويقبل عذر المعتذر قال أنس ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل
يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه
بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على
أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في
الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على
أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام وروي أنه
كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد
إلى صلاته وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب
قال عبد الله بن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعن أنس كان خدم المدينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة
بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة
الباردة يريدون به التبرك

فصل

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم وقال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال
بعضهم من فضله عليه السلام أن الله أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رءوف رحيم
وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد

الخشني

الخشني بقراءتي عليه ثنا إمام الحرمين أبو علي عبد الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا إبراهيم
ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو الطاهر ثنا ابن وهب أنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول
الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان
ابن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثني سعيد بن المسيب أن
صفوان قال والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه
لأحب الخلق إلي وروي أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت
إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام
ودخل منزله وأرسل إليه وزاده شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل
وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إنك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من
ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك
قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا الأعرابي
قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال
صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم
يزيدوها إلا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم
فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت وشد
عليها رحلها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج
إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته تخفيفه وتسهيله عليهم
وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك
مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يعنت
أمته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان يسمع بكاء الصبي

فيتجوز في صلاته. **ومن شفقته** صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل
سببته أو لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم
القيامة. **ولما** كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له إن الله قد سمع
قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك
الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين قال صلى الله عليه
وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا. **وروى**
ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى أمر السماء
والأرض والجبال أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم. **قالت**
عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما
وقال ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة
مخافة السآمة علينا. **وعن** عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة
فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل

وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم **فحدثنا**
القاضي أبو عامر محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه ثنا أبو بكر بن محمد بن محمد ثنا أبو إسحاق الحبال
ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا ابن الأعرابي ثنا أبو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا إبراهيم بن طهمان
عن بديل عن عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه
بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت
علي أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك. **وعن** أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتي
بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة

وعن عائشة

وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة رضي الله
عنها لما كنت أسمعه يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها **واستأذنت**
عليه أختها فارتاح إليها **ودخلت** عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما
خرجت قال إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان **ووصفه**
بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم **وقال**
صلى الله عليه وسلم إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها
وقد صلى صلى الله عليه وسلم بأمامة ابنة ابنته زينب يحملها على عاتقه فإذا
سجد وضعها وإذا قام حملها **وعن** أبي قتادة قال وفد وفد للنجاشي فقام النبي
عليه الصلاة والسلام يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين
وإني أحب أن أكافئهم **ولما** جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا
هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة
أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت قومها فمتعها **وقال أبو الطفيل**
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها
رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته **وعن عمر بن السائب**
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض
ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم
أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه **وكان**
يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها
فقيل لا أحد **وفي** حديث خديجة أنها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك
الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق

فصل

وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا وحسبك أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عند ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع حدثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة ثنا أبو علي الحافظ ثنا أبو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا أبو داود ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي غالب عن أبي أمامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت إن لي إليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف قال وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين

طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الأنبياء ولا تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك من إبراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك إبراهيم وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث بعد هذا إن شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن أنس إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد وعن أبي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله

فصل

وأما عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الأمين قال ابن إسحاق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة في من يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا

محمد ... الأمين فقد رضينا به وعن الربيع بن خثيم قال كان يتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الجاهلية قبل الإسلام وقال صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين
في الأرض حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا أبو الفضل بن خيرون
وأبو يعلى بن زوج الحرة ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا أبو
كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي أن أبا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا
يكذبونك الآية وروى غيره لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس
ابن شريق لقي أبا جهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا
تخبرني عن محمد أصادق أم كاذب فقال أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط
وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا
وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم وأصدقكم
حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها
وفي حديث علي في وصفه عليه السلام أصدق الناس لهجة وقال في الصحيح
ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة ما خير رسول
الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس
منه قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح
للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال
ابن خالويه ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا
لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة

على

على العامة ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع أمنه
الله يوم الفزع الأكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف
أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول
الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة
لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست
أنظر فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة
أخرى مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء

فصل

وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا
أبو علي الجياني الحافظ إجازة وعارضت بكتابه قال ثنا أبو العباس الدلائي ثنا أبو ذر الهروي
ثنا أبو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا أبو داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج بن محمد
عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن محمد بن عبد الرحمن بن ... سمعت خارجة بن زيد يقول
كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه
وروى أبو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس
احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن
جابر بن سمرة أنه تربع وربما جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير
السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به
مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا
كأنما ينحط من صبب. وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير
غرض ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان. وقال عبد الله بن مسعود إن أحسن الهدي
هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل. قال ابن أبي هالة كان سكوته على أربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر. قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا
لو عده العاد أحصاه. وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما
كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني
في الصلاة. ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والأمر بالأكل مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال
الفطرة

فصل

وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من أخباره أثناء هذه السيرة ما يكفي
وحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت
عليه فتوحها أن توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة
عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا. حدثنا
سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي قالوا نا أحمد بن عمر
نا أبو العباس الرازي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان نا أبو الحسين بن الحجاج نا أبو بكر بن أبي
شيبة نا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت ما شبع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله. وفي رواية أخرى من
خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال. وفي رواية أخرى
ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله. وقالت عائشة

ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا. وفي حديث عمرو بن
الحارث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة. قالت عائشة ولقد مات وما
في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي. وقال لي إني عرض علي أن يجعل لي بطحاء
مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع
إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك. وفي حديث آخر أن جبريل نزل
عليه فقال له إن الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون
معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت. وعن عائشة
قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا إن هو إلا التمر والماء. وعن عبد الرحمن
ابن عوف توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير.
وعن عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه. وعن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم
يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء. وعن أنس ما أكل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا
قط. وعن عائشة إنما كان فراشه الذي ينام عليه أدما حشوه ليف. وعن
حفصة كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي مسحا نثنيه ثنيتين فينام عليه
فثنيناه له ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه
بحالته فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي. وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط
حتى يؤثر في جنبه. وعن عائشة قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه
وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى إلى أحد وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان
ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع
كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به وأمسح بيدي على

بطنه مما به من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة
ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على
حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي
أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي قالت
فما أقام بعد إلا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك
قال فيما حدثنا أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو
الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا أبو عبد الله الفربري ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد
في رواية عن أبي عيسى الترمذي رفعه إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون
أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته
ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء
على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله. لوددت أني شجرة تعضد روي
هذا الكلام وددت أني شجرة تعضد من قول أبي ذر نفسه وهو أصح وفي حديث المغيرة
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم
قدماه فقيل له أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا
شكورا ونحوه عن أبي سلمة وأبي هريرة رضي الله عنهما وقالت عائشة
رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق
وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وأم سلمة

وأنس

وأنس رضي الله عنهم وقالت كنت لا تشاء أن تراه من الليل مصليا إلا رأيته مصليا ولا نائما إلا رأيته
نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف
فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي
الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة
يفعل مثل ذلك وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين
نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي
الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله
بن الشخير أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل
قال ابن أبي هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له
راحة وقال عليه السلام إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي
سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله
أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز
فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي
وقرة عيني في الصلاة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لأجل أمتي وشوقي إلى ربي

فصل

اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه
من كمال الخلق وحسن الصورة وجميع المحاسن هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال والكمال
والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات الله وسلامه عليهم إذ رتبتهم أشرف الرتب
ودرجاتهم أرفع الدرجات ولكن الله فضل بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل

فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وعن
قال عليه الصلاة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخرهم
على خلق رجل واحد على صورة ابيهم ادم عليه الصلاة والسلام طوله ستون ذراعا في السماء
وفي حديث في مسلم رضي الله عنه رايت موسى فاذا رجل ضرب رجل كانه من رجال
شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس
وفي حديث اخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال بعضهم
اخر في صفة موسى كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث في مسلم عنه صلى الله
عليه وسلم ما بعث الله تعالى من نبي الا بعثه في ذروة من قومه وفي رواية في ثروة اي
كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما
بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم
صوتا وفي حديث هرقل وسالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث
في انساب قومها وقال تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال
تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى
مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين وقال تعالى ان الله
اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها وقال في نوح
انه كان عبدا شكورا وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى قوله الصالحين وقال اني
عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا الى قوله ما دمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى فبراه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وقال النبي صلى الله
عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث وقال
تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين
وقال ان خير من استاجرت القوي الامين وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل

وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة
من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من
الصابرين وقال في اسماعيل انه كان صادق الوعد الاية وقال في موسى انه كان مخلصا الاية
وقال في سليمان نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي
الايدي والابصار الى الاخيار وقال في داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى
ستجدني ان شاء الله صابرا وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات
الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في القلب وكثير مما ذكر فيها من خصالهم ومحاسن
اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله انما الكريم ابن
الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن
نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان
كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس
لذائذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا راس العابدين وابن محجة الزاهدين
وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي
وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع
وروى ابو هريرة رضي الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام خفف على داود القران اي
القراءة فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرأ القران قبل ان تسرج ولا ياكل الا من عمل يده قال الله
تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان سال ربه ان يرزقه عملا بيده
يغنيه عن بيت مال الله وقال عليه السلام احب الصلاة الى الله صلاة داود

وقال

وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم
يوماً ويفطر يوماً وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد
ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكاً بعد الخطيئة ولا شاخصاً ببصره إلى السماء حياءً من
ربه ولم يزل باكياً حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت
الدموع في خده أخدوداً وقيل كان يخرج متنكراً يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد
تواضعاً وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حماراً قال أنا أكرم على الله من أن يشغلني
بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت أينما أدركه النوم نام وكان أحب
الأسامي إليه أن يقال له المسكين وقيل إن موسى لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة
البقل في بطنه من الهزال وقال عليه السلام لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر والقمل
وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له في ذلك فقال أكره أن أعوّد لساني النطق بسوء وقال مجاهد كان طعام
يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع
الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب أن موسى كان يستظل بعريش ويأكل
في نقرة من حجر ويكرع فيها إذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة تواضعاً لله بما أكرمه به
من كلامه وأخبارهم في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الأخلاق وحسن
الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا تلتفت إلى ما تجده في كتب بعض
جهلة المؤرخين والمفسرين مما يخالف هذا

ووهب أن

فصل

قد أتيناك أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة وأريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والأمر
أوسع فمجال هذا الباب في حقه ممتد تنقطع دون نفاده الأدلاء وبحر علم خصائصه زاخر

بذكر

لا تكدره الدلاء ولكنا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا
في ذلك بقليل من كثير وغيض من فيض ورأينا أن نختم هذا الفصل بذكر حديث الحسن عن أبي
هالة لجمعه من شمائله وأوصافه كثيراً وإدماجه جملة كافية من سيره وشمائله
ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي الشهيد
أبو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الإمام أبو
القاسم عبد الله بن طاهر التميمي قراءة عليه قال حدثنا الفقيه أبو بكر محمد بن عبد
الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن البحيري
والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن
الحسن الخزاعي قال حدثنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي قال حدثنا أبو عيسى محمد بن
عيسى بن سورة الحافظ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاءً
من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين يكنى أبا
عبد الله عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال سألت خالي هند بن أبي هالة
قال القاضي أبو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن
ابن أحمد بن خذاداذ الكرجي الباقلاني قال وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن
الحسن بن خيرون قالا أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن
مهران البزاز قراءة عليه فأقر به قال أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر
ابن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي ويعرف بابن أخي طاهر
العلوي أنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ح
علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه
محمد بن علي عن علي بن الحسين قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند
ابن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافاً وأنا أرجو أن يصف لي

شيئا يتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة
البدر أطول من المربوع وأقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق
وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ
من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله
أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن
عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر
مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي
الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف أو قال سائر
الأطراف وسائل الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما
الماء إذا زال زال قلعا ويخطو تكفيا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط
من صبب وإذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء
جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام **قلت**
صف لي منطقه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست
له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه
ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول ولا تقصير فيه دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم
النعمة وإن دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقوم لغضبه إذا تعرض للحق
بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا
تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب
أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام
قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني

إليه

إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله كله فلم
يدع منه شيئا **قال الحسين** سألت أبي عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله
ثلاثة أجزاء جزءا لله تعالى وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار
أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم
ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي
ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته
فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا
يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره **قال** في حديث سفيان بن وكيع يدخلون
روادا ولا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء **قلت**
فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه
إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس
ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهيه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن
يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره الذين يلونه من
الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة
ومؤازرة **فسألته** عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى
القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب
جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاومه في حاجة صابره حتى يكون هو

المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى **وفي الرواية**
الأخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه
الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته **وهذه** الكلمة من غير الروايتين
يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويرفدون
ذا الحاجة ويرحمون الغريب **فسألته** عن سيرته صلى الله عليه وسلم في
جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس
بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي ولا
يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والإكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان
لا يذم أحدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه إذا تكلم أطرق
جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن
تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم عنده حديث أولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب
مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول إذا رأيتم طالب الحاجة
يطلبها فأرفدوه ولا يطلب الثناء إلا من مكافئ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز
فيقطعه بانتهاء أو قيام **هنا** انتهى حديث سفيان بن وكيع **وزاد الآخر**
قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر
والتقدير والتفكر فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس وأما تفكره ففيما
يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه
وجمع له في الحذر أربع أخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده
الرأي بما أصلح أمته والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة. انتهى الوصف بحمد الله وعونه

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله : قوله

المشذب

المشذب أي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كأنه
مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس أراد إن انفرقت من ذات نفسها فرقها وإلا تركها
معقوصة ويروى عقيصته وأزهر اللون نيره وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أي زينتها
وهذا كما قال في الحديث الآخر ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم والأمهق هو الناصع البياض والآدم
الأسمر اللون ومثله في الحديث الآخر أبيض مشرب أي فيه حمرة والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر
الشعر والأقنى السائل الأنف المرتفع وسطه والأشم الطويل قصبة الأنف والقرن اتصال شعر
الحاجبين وضده البلج ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن والأدعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث
الآخر أشكل العين وأسجر العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الأسنان
وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا ودقيق المسربة خيط
الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في
الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم أي ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن
والصدر أي مستويهما ومشيح الصدر إن صحت هذه اللفظة فيكون من الإقبال وهو أحد معاني أشاح أي
أنه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أي
ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في
الرواية الأخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل
المشاش والكتد والمشاش رؤوس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان
عظما الذراعين وسائل الأطراف أي طويل الأصابع وذكر ابن الأنباري أنه روي سائن الأطراف أو قال سائل بالنون
وهو بمعنى تبدل اللام من النون إن صحت الرواية بها وأما على الرواية الأخرى وسائر الأطراف
فإشارة إلى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة أي واسعها وقيل كنى به
عن سعة العطاء والجود وخمصان الأخمصين أي متجافي أخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط
القدم ومسيح القدمين أي أملسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا قال فيه

إذا وكل بعزمه وهي بكيلها البشر لما اخص وهذا نحو معنى قوله تسبيح الغدمين وبه قالوا نهى المسيح
عيسى بن مريم ابن بكر لما اخص وقيل تسبيح الرحم عليهم وهذا ايضا يجانب قوله تستر الغلمين والتقلع
رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو
أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق
وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب **وقوله** يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه أي لسعة
فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم وأشداق جانب الفم والغمام الدبر **وقوله** فيرد
ذلك بالخاصة على العامة أي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل
منه للخاصة ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة ويدخلون روادا أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده
ولا يتفرقون إلا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر
والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة **وقوله** لا يوطن الأماكن أي لا يتخذ
لنفسه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا الحديث وصابر أي حبس نفسه
على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم أي لا يذكر بسوء ولا تنثى فلتاته أي لا يتحدث بها أي لم تكن فلتة وإن
كانت من أحد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح **وقوله** ولا يقبل الثناء إلا
من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل إلا من مسلم وقيل إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي
صلى الله عليه وسلم له ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه منهوس العقب أي قليل
لحمها وأهدب الأشفار أي طويل شعرها

الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

لا خلاف أنه أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الخلق منزلة عند الله وأعلاهم درجة

واقربهم

وأقربهم زلفى **واعلم** أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد
اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا

الفصل الأول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه

والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من
مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب. **أخبرنا** الشيخ أبو محمد عبد الله
ابن أحمد العدل رحمه الله بلفظه قال ثنا أبو الحسن الفرغاني حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر بن
يعقوب عن أبيها ثنا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى هو ابن إسماعيل عن يحيى الحماني
ثنا قيس عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله أصحاب اليمين وأصحاب
الشمال فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها
ثلثا وذلك قوله فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير
السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا
فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية **وعن أبي سلمة**
عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح و
الجسد **وعن واثلة** بن الأسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من ولد
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم **ومن حديث**
أنس أنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر **وفي** حديث ابن عباس أنا أكرم الأولين والآخرين
ولا فخر **وعن عائشة** رضي الله عنها عنه عليه السلام أتاني جبريل فقال قلبت مشارق الأرض
ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد ولم أر بني أب أفضل من بني هاشم **وعن أنس** أن النبي

صلى الله عليه وسلم أتي بدابة ليلة أسري به فاستصعبت عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل
هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فارفض عرقا **وعن ابن عباس** عنه عليه السلام
لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف
بي في النار في صلب إبراهيم ثم لم يزل ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى
أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط **وإلى هذا** أشار العباس
ابن عبد المطلب رضي الله عنه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق

في أبيات أخر **وروى** عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة
وجابر بن عبد الله أنه قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل
وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة
وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه **وفي** رواية أخرى وعرض علي أمتي
فلم يخف علي التابع من المتبوع **وفي** رواية بعثت إلى الأحمر والأسود قيل السود
العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر العجم **و**قيل البيض والسود
الأمم **و**قيل الحمر الإنس والسود الجن **وفي** الغريبة الأخرى هن لي من ربي ونصرت بالرعب
وأوتيت جوامع الكلم وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي
وفي رواية عنه وختم بي النبيون **وعن** عقبة بن عامر أنه قال عليه السلام
إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح

خزائن الأرض وإني والله ما أخاف أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها **وعن**
عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي
أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش **وعن ابن عمر**
بعثت بين يدي الساعة **ومن رواية ابن وهب** أنه صلى الله عليه وسلم قال قال الله
تعالى سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت
نوحا وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله ما أعطيتك خير من ذلك
أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الأرض طهورا
لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفورا لك
ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك
ولم أخبأها لنبي غيرك **وفي** حديث آخر رواه حذيفة بشرني يعني ربي أول من
يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب
وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى بين يدي أمتي
شهرا وطيب لي ولأمتي الغنائم وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في
الدين من حرج **وعن أبي هريرة** عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الأنبياء إلا
وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى
الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة **معنى هذا عند**
المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها
إلا الحاضر لها ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا إلى يوم القيامة
وفيه كلام يطول هذا نخبته **وقد** بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه
سوى هذا آخر باب المعجزات **وعن علي** كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي
نبيكم أربعة عشر نجيبا منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار **وقال** صلى الله

عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمومنين وانها لا تحل لاحد
بعده وانما احلت له ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته ودعوة ابي ابراهيم وبشارة
عيسى بن مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا على اهل السماء وعلى الانبياء
صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن
يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله
على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية وقال لمحمد وما
ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن
اوس وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وبشرى عيسى ورات امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من
ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما
لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب
مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم
استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا بطني
وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه وقال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا
فاذا انا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده
مكانه وامر الاخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع
له اذنان سميعتان وعينان بصيرتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من
امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه
بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال

في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع
انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما
اكرمك على الله ان الله معك وملائكته معك قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان
وليا عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي
وغيرهما ان ادم عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال
الله له من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول
الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر
له وهذا عند قائله تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات الاية وفي
رواية الاجري فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله
الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع
اسمك فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال
وكان ادم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة
سياحين عبادتهم كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى
ابن قانع القاضي عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء
اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن
ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب
عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن راى الدنيا
وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن
ابن عباس رضي الله عنه على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله
لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله
محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد

حدثنا ان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله
وذكر في الاخبار ان في بلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا
اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة
نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه الصلاة والسلام
وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت اهل مكة
يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا رزقوا ووقوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان
يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان
الله تعالى نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه
لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية قام خطيبا
فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا
الحديث

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى

ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات
الرفعة مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله سبحانه
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله
لقد رأى من آيات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه
السلام اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد عليه
السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره
يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر بسماعي

عليهما

عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا القاضي العذري
ثنا الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ
ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى
طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من
لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن
مريم ويحيى بن زكرياء صلى الله عليهما فرحبا ودعوا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم
واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة وذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب
بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم
مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال
قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها

من خمسين قال فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى
موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف
فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يا
رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمسا قال إن أمتك
لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تعالى وبين موسى
حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن
هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال
ارجع إلى ربك فسله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى
ربي حتى استحييت منه **قال القاضي رضي الله عنه** جود
ثابت رحمه الله هذا الحديث عن أنس ما شاء ولم يأت أحد عنه بأصوب من هذا **وقد**
خلط فيه غيره عن أنس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك بن أبي نمر فقد ذكر في أوله مجيء
الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا إنما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال
شريك في حديثه وذلك قبل أن يوحى إليه وذكر قصة الإسراء ولا خلاف أنها كانت
بعد الوحي وقد قال غير واحد إنها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا **وقد**
روى ثابت عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الإسراء
كما رواه الناس فجود في القضيتين وفي أن الإسراء إلى بيت المقدس وإلى سدرة المنتهى كان
قصة واحدة وأنه وصل إلى بيت المقدس ثم عرج به من هنالك فأزاح كل إشكال أوهمه
غيره **وقد** روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم

ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج
بي إلى السماء فذكر القصة **وروى** قتادة الحديث بمثله عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيه
تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الأنبياء في السماوات **وحديث** ثابت عن أنس
أتقن وأجود **وقد** وقعت في حديث الإسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا
منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح
إلا آدم وإبراهيم فقالا له والابن الصالح **و**فيه من طريق ابن عباس ثم عرج بي حتى
ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام **وعن أنس** ثم انطلق بي حتى أتينا سدرة
المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة **وفي** حديث مالك بن صعصعة
فلما جاوزته يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل
من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي **وفي** حديث أبي هريرة وقد رأيتني في جماعة من
الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت
فبدأني بالسلام **وفي** حديثه ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى
صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا
حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا
على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم
ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وإن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال
كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس
بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل
أمتي أمة وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني
وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد

ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
وانتهى بي الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما
يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة
المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها
انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من
عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة
الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال
تبارك وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت
موسى تكليما واعطيت داوود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت
سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا لا
ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته
وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك
حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك الى الناس كافة وجعلت
امتك هم الاولون وهم الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا
من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم
اعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر
لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما راى الآية راى جبريل
في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه راى موسى في السابعة قال

بتفضيل

بتفضيل كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع
علي احد وقد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس
وعن علي بن ابي طالب لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان
جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل
اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى
بها الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا
وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر
فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله
فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا لا اله الا انا وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه
لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد فقدمه
فام اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه
اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السماوات والارض قال
القاضي رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق
لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر
محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء
كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك
من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من
سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قوله عن الملك
الذي خرج من ورائه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل
ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها

يتبين علم الملائكة وغيرهما يجرون أمر الله بما علمهم **وأما** قوله أدنى يلي الرحمان فيحمل على حذف المضاف أي يلي عرش الرحمان أو أمر من عظيم آياته أو مبادئ حقائق معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى [illegible] أي أعلمنا **وقوله** فيقبل من وراء الحجاب صرف إلى البشر فقام أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله أعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث مقالات **فذهبت** طائفة إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه وإليه أشار محمد بن إسحاق وحجتهم قوله وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام **وذهب** معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين **وقالت** طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد به وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه **قالوا** ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره فيكون أبلغ في المدح **ثم** اختلفت هذه الفرقة هل صلى ببيت المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا

قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح إن شاء الله أنه إسراء بالروح والجسد في القصة كلها **وعليه** تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة إذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده **وقوله** ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن جسمه وحال يقظته **إلى** ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس أو في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك **وفي** بعض هذه الأخبار فأخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره **قال ابن عباس** هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام **وعن** الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فأخذ بعضدي فجرني إلى باب المسجد فإذا أنا بدابة وذكر خبر البراق **وعن**

أم هانئ ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترين وهذا بين في أنه بجسمه **وعن** أبي بكر من رواية شداد بن أوس رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى **وعن عمر** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها **وعن** أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي **وعن** أنس أتيت فانطلقوا بي إلى زمزم فشرح عن صدري **وعن** أبي هريرة لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه ونحوه عن جابر **وقد** روى عمر بن الخطاب في حديثه رضي الله عنه عنه عليه السلام أنه قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها

فصل في إبطال حجج من قال إنها نوم

احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس فسماها رؤيا **قلنا** قوله سبحان الذي أسرى بعبده يرده لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله فتنة للناس يؤيد أنها رؤيا عين وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا **وأما** قولهم إنه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت **فلا حجة فيه** إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه كان وهو نائم أو أول حمله والإسراء به وهو نائم وليس في الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وأنا في المسجد الحرام فلعل قوله ثم استيقظت بمعنى أصبحت أو استيقظ من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله وإنما كان في بعضه **وقد** يكون قوله استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السماوات والأرض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع إلى حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام **ووجه ثالث** أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم **وقد** مال بعض أصحاب الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا أن يكون في وقت صلاته بالأنبياء ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات **ووجه رابع** وهو أن يعبر بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم وربما قال مضطجع **وفي** رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا **وذهب** بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره عليه الصلاة والسلام قبل النبوة ولأنه قال في الحديث قبل أن يبعث والإسراء بالإجماع كان بعد المبعث **فهذا** كله يوهن ما وقع في رواية أنس

مع أن أنسا قد بين من غير هذه الرواية أنه إنما رواه عن غيره وأنه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ابن صعصعة
فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك على الشك وقال مرة كان أبو
ذر يحدث **وأما** قول عائشة ما فقدت جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة
لأنها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الإسراء
متى كان فإن الإسراء كان في أول الإسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام
ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية أعوام وقد قيل كان الإسراء لخمس قبل
الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والأشبه أنه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا
فإذا لم تشاهد ذلك عائشة دل أنها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها على
خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث أم هانئ وغيره وما ذكر
فيه خديجة وأيضا فليس حديث عائشة بالثابت والأحاديث الأخر أثبت لسنا
نعني حديث أم هانئ وما ذكرت فيه خديجة وأيضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت
ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم إلا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه
صحيح قولها أنه بجسده لإنكارها أن تكون رؤياه لربه رؤية عين ولو كانت عندها
منامًا لم تنكره **فإن قيل** فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب
وهذا يدل على أنه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس **قلنا**
يقابله قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد أضاف الأمر إلى البصر وقد قال أهل التفسير
في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى أي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل
ما أنكر قلبه ما رأته عينه

فصل

وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فأنكرته
عائشة **حدثنا** أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه

قال

قال حدثنا أبي وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا نا القاضي يونس بن مغيث نا أبو الفضل
الصقلي نا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده قالا نا عبد الله بن علي نا محمود بن آدم
نا وكيع عن ابن أبي خالد عن عامر عن مسروق أنه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد
ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك أن محمدا
رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار الآية وذكر الحديث
وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن أبي هريرة
أنه إنما رأى جبريل واختلف عنه **فذكر** ابن إسحاق أن مروان بن الحكم سأل أبا هريرة هل
رأى محمد ربه فقال نعم **وقال** بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة
من المحدثين والفقهاء والمتكلمين **وعن ابن عباس** أنه رآه بعينه **وروى** عطاء
عنه رآه بقلبه **وعن** أبي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين **وذكر**
ابن إسحاق أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم والأشهر عنه
أنه رأى ربه بعينه روي ذلك عنه من طرق وقال إن الله اختص موسى بالكلام و
إبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية وحجته قوله ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على
ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى **قال الماوردي** وقيل إن الله تعالى قسم كلامه
ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين **وحكى** أبو
الفتح الرازي وأبو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب **وروى** عبد الله بن الحارث
قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس أما نحن بنو هاشم فنقول إن محمدا قد رأى
ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد
وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه **وروى** شريك عن أبي ذر في تفسير الآية قال
رأى النبي ربه **وحكى** السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن أنس
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني **وروى**

مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد
فيم يختصم الملأ الأعلى الحديث **وحكى** عبد الرزاق أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى
محمد ربه وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن
مسعود وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم **وقال**
النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع
نفسه يعني نفس أحمد **وقال أبو عمر** قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن
القول برؤيته في الدنيا بالأبصار **وقال** سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره
وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود
فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى
عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه **وعن ابن عطاء** في قوله ألم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام **وقال** أبو الحسن علي
ابن إسماعيل الأشعري رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه
وقال كل آية أوتيها نبي من الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا وخص من
بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه
جائز أن يكون **قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه**
والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما
لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي
لا يعلمه إلا من علمه الله فقال له الله تعالى لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له
مثلا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في
الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها

إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه
الأبصار لاختلاف التأويلات في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة
وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها
على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه لا تحيط به وهو قول ابن
عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل هذه التأويلات لا تقتضي منع
الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني وقوله تبت إليك لما
قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل
وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل **وقد** رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما
معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة
غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر
ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية **وقد**
رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني
فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي **وهذا**
كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله
من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم تمتنع في حقه **وقد** تقدم ما
ذكر من قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها
لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم **وقد ذكر القاضي**
أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك
خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله
أعلم من قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل

جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال
جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن
موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل أنه رآه وبرؤية الجبل له
استدل من قال برؤية نبينا له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في
الآيات نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا
ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر
قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فيجب العمل بالاعتقاد لمضمنه ومثله
حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن
وحديث أبي ذر الآخر مختلف محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض
شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن
الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد
أخبر أنه لم ير الله وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله وإلى هذا يرجع قوله
نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل قوله في الحديث
الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا
ثم دنا فتدلى والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله
غيره فإن ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة
فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق تعالى

فصل

وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله فأوحى
إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن الموحي الله تعالى
إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال أوحى

إليه

إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في
الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن عباس وابن مسعود وأنكره آخرون وذكر
النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه عليه السلام في قوله ثم دنا فتدلى قال فارقني
جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد
ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله
تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه
ما يشاء فقالوا هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة
كحال جميع الأنبياء وأكثر أحوال نبينا صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق
من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو
ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي في
حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي لكلام الله من الآية فذكر فيه فقال الملك الله
أكبر الله أكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات
الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما
يلتبس منه وفي أول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد ومن اختصه من أنبيائه جائز
غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه
وكلامه تعالى لموسى كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب وأكده بالمصدر دلالة
على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه
ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع فيه صريف الأقلام فكيف يستحيل أو
يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

فصل

وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله

دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين على أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد
وجبريل أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس
هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد
أي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب دنا من محمد فتدلى إليه أي أمره وحكمه
وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه
فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
تدلى الرفرف لمحمد ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت
عني الأصوات وسمعت كلام ربي وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما
شاء وأوحى إليه خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد
دنا من ربه فكان قاب قوسين وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان
منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود
وقال أيضا انقطعت الكيفية عن الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه
ودنا محمد إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن
قلبه الشك والارتياب قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه
اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب هنا من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان
ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وإنما دنو النبي من ربه وقربه
منه إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته وإشراق أنواره معرفته عليه ومشاهدة أسرار غيبه
وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط وإكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله
ينزل ربنا إلى سماء الدنيا على أحد الوجوه نزول إفضال وإجمال وقبول وإحسان قال
الواسطي من توهم أنه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كل ما دنا بنفسه من الحق

تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته إذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله فكان قاب قوسين أو أدنى فمن
جعل الضمير عائدا إلى الله لا إلى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل
وإيضاح المعرفة والإشراف على الحقيقة من محمد وعبارة عن إجابة الرغبة وقضاء
المطالب وإنافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتأول فيه ما يتأول في قوله من تقرب
مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة قرب بالإجابة والقبول
وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول

فصل
في تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة

حدثنا القاضي أبو علي نا أبو الفضل وأبو الحسين نا أبو يعلى نا السنجي
نا ابن محبوب نا الترمذي نا الحسين بن يزيد الكوفي نا عبد السلام بن حرب عن ليث عن
الربيع بن أنس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا
إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد بيدي وأنا
أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظه من
الحديث عن أنس أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم
إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرم بيدي
وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون وعن
أبي هريرة وأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن
سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وعن أبي هريرة
عنه صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه القبر

وأول شافع وأول مشفع. وعن ابن عباس: أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر
وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها
ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر. وعن أنس:
أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الناس تبعا. وعن أنس قال النبي صلى
الله عليه وسلم: أنا سيد الناس يوم القيامة، وتدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين
وذكر حديث الشفاعة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: أطمع
أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة. وفي حديث آخر: أما ترضون أن يكون
إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة، ثم قال: إنهما في أمتي يوم القيامة، أما إبراهيم
فيقول: أنت دعوتي وذريتي فاجعلني من أمتك، وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو
علات أمهاتهم شتى، وإن عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي، وأنا أولى الناس به.
قوله: أنا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن
أشار عليه السلام لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره إذ لجأ الناس إليه
في ذلك فلم يجدوا سواه، والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فكان حينئذ
سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه، كما قال تعالى: لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار، والملك له تعالى في الدنيا والآخرة، لكن في الآخرة انقطعت دعوى
المدعين لذلك في الدنيا، وكذلك لجأ إلى محمد جميع الناس في الشفاعة، فكان سيدهم في
الأخرى دون دعوى. وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آتي باب
الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح
لأحد قبلك. وعن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حوضي مسيرة
شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، من
شرب منه لم يظمأ أبدا. وعن أبي ذر نحوه وقال: طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه

ميزابان

ميزابان من الجنة. وعن ثوبان مثله وقال: أحدهما من ذهب والآخر من ورق. وفي رواية
حارثة بن وهب: كما بين المدينة وصنعاء. وقال ابن عمر: كما بين الكوفة والحجر الأسود.
وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن
وهب الخزاعي والمستورد وأبو برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم
وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وعبد الله الصنابحي وأبو
سعيد الخدري وأبو موسى والبراء وجندب وعائشة وأسماء بنت أبي بكر وأبو بكرة
وخولة بنت قيس وغيرهم.

فصل

في تفضيله بالمحبة والخلة، جاءت بذلك الآثار الصحيحة، واختص صلى الله عليه وسلم
على ألسنة المسلمين بحبيب الله. حدثنا أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب
وغيره عن كريمة بنت محمد قالت: نا أبو الهيثم. وحدثنا حسين بن محمد
الحافظ سماعا عليه قال: نا أبو الوليد، نا عبد بن أحمد، نا أبو الهيثم، نا أبو عبد الله محمد بن
يوسف، نا محمد بن إسماعيل، نا عبد الله بن محمد، نا أبو عامر، نا فليح، نا أبو النضر عن عبيد بن
حنين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو كنت متخذا خليلا غير ربي
لاتخذت أبا بكر. وفي حديث آخر: وإن صاحبكم خليل الله. ومن طريق عبد الله
ابن مسعود: وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا. وعن ابن عباس قال: جلس ناس من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجبا إن الله اتخذ من خلقه خليلا، وقال آخر: ماذا بأعجب من
كلام موسى كلمه الله تكليما، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم
اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم
خليلا وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم

اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا
فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي
فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وفي
حديث [illegible] من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك خليلا فهو
مكتوب في التوراة أنت حبيب الرحمن قال القاضي أبو الفضل رضي
الله عنه اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله
الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول
غير واحد وقال بعضهم أصل الخلة الاستصفاء وسمي إبراهيم خليل الله لأنه يوالي
فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره وجعله إماما لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير
المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها إبراهيم لأنه قصر حاجته
على ربه وانقطع إليه بهمه ولم يجعله قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى
في النار فقال ألك حاجة قال أما إليك فلا وقال أبو بكر بن فورك الخلة
صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة
ومعناها الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه بقوله
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب
أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة
كما قال تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا يصح أن تكون عداوة مع
خلة فإذا تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله
ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب أو لزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه عندهما وما خالل بواطنهما من أسرار إلهيته
ومكنون غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه لهما واستصفائه قلوبهما عمن سواه حتى

لا يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو
عندهم معنى قوله عليه السلام لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا لكن أخوة
الإسلام واختلف العلماء وأرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة المحبة فجعلهما
بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلا ولا الخليل إلا حبيبا لكنه خص إبراهيم بالخلة
ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة أرفع واحتج بقوله
صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد أطلق المحبة عليه السلام
لفاطمة وابنيها وأسامة وغيرهم وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة لأن درجة
الحبيب نبينا أرفع من درجة الخليل إبراهيم وأصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فأما
الخالق جل جلاله فمنزه عن الأعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته و
توفيقه وتهيئة أسباب السعادة في القرب وإفاضة رحمته عليه وقصواها كشف
الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر إليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فإذا
أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به
ولا ينبغي أن يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع إلى الله والإعراض عن غير الله
وإخلاص القلب وصفاء الحركات لله كما قالت عائشة كان خلقه القرآن برضاه يرضى
وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكت كنت الغليلا

فإذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا عليه السلام بما دلت عليه
الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الأمة وكفى بقوله قل إن كنتم تحبون
الله الآية حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار إنما يريد محمد

أن نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فأنزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية
قل أطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بأمرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم
على التولي عنه بقوله فإن الله لا يحب الكافرين وقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك
عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة إشاراته إلى تفضيل مقام
المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي إلى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل
بالواسطة من قوله وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض والحبيب يصل إليه به
من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من
قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي
الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب
قيل له يا أيها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل
له ورفعنا لك ذكرك أعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني أن نعبد الأصنام
والحبيب قيل له إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وفيما ذكرناه
تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والأحوال وكل يعمل على
شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا

فصل
في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود

قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا حدثنا
الشيخ أبو علي الغساني الجياني فيما كتب به إلي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا أبو
محمد الأصيلي ثنا أبو زيد وأبو أحمد قالا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسماعيل بن
أبان ثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول إن الناس يصيرون يوم

القيامة

القيامة جثى كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي
الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وعن
أبي هريرة سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى أن يبعثك ربك
مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك عنه عليه السلام يحشر
الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي
فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة
قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده
وعن ابن مسعود عنه صلى الله عليه وسلم أنه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه
غيري يغبطني فيه الأولون والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام
الذي أشفع لأمتي فيه وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إني لقائم المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه وعن
أبي موسى عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن
أبي هريرة رضي الله عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي
لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن أم حبيبة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض
وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم فسألت الله أن يؤتيني شفاعة يوم القيامة
فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادى محمد
فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك
بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب

ثبتت فلا هو المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار
النار واهل الجنة الجنة فبقيت اخر زمرة من الجنة واخر زمرة من النار فتقول اخر زمرة
النار لاخر زمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون
آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم فذلك المقام
المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي
يبعثه الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني
من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن انس نحوه وقال فذلك المقام
المحمود الذي وعد وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في
حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة فيهتمون او
قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا وعنهم ماج الناس
بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا
يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون وزاد
بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى
نوح فيأتون نوحا فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي وقال في رواية
انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت

له دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله
فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي
نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله
التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب
قتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى
فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني
فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت له ساجدا وفي رواية فآتي
تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر
عليها الا ان يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح علي من محامده وحسن الثناء
عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع
رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول
ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر
ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعيرة من ايمان فاخرجه
فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه
مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه
ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي ارفع
رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا
الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار

من قال لا اله الا الله ومن رواية قتادة عنه فلا ادري في الثالثة او الرابعة
فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرءان اي من وجب عليه الخلود وعن ابي بكر
وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال فياتون محمدا فيوذن له وتاتي الامانة
والرحم فتقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فياتون
محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال
ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر
اخرهم جوازا الحديث وفي حديث ابي هريرة فاكون اول من يجوز وعن ابن عباس
عنه صلى الله عليه وسلم يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس
عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك
فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم
من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم
الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة
ومن طريق زياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول
من تنشق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء
الحمد يوم القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال
من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم
ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم
القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف
الفاظ هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى
اخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس
والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف

ثم

ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث
اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع
فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن
قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه عليه السلام وفي الحديث المنتشر الصحيح
لكل نبي دعوة يدعو بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة قال
اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي
منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند
الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على
يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث
لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان اوخر دعوتي شفاعة لامتي
يوم القيامة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته
ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة
فيكون من هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى
الله عليه وسلم انه سال لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع
بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة
جزاه الله عنا احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى عليه وسلم كثيرا

فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة

حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو
الوليد هشام بن احمد رحمهما الله بقراءتي عليهما قالا ثنا ابو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن
ثنا ابو بكر التمار ثنا ابو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد

ابن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه
من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة
لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة **وفي** حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة **وعن**
أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه
قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى
طينته فاستخرج مسكا **وعن عبد الله** وعائشة مثله قال ومجراه على الدر والياقوت
وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج **وفي** رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق شقا
عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض **ونحوه** عن ابن عباس **وعن ابن عباس**
أيضا قال الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه **وقال** سعيد بن جبير والنهر الذي في
الجنة من الخير الذي أعطاه **وعن** حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه وأعطاني
الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي **وعن ابن عباس** في قوله ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن **وفي** رواية أخرى وفيه
ما ينبغي له من الأزواج والخدم

فصل

فإن قلت إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه أكرم
البشر وأفضل الأنبياء فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما
حدثناه الأسدي ثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة قال سمعت أبا العالية يقول حدثني
ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي

لعبد

لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى **وفي** غير هذا الطريق عن أبي هريرة قال يعني الله ما
ينبغي لعبد الحديث **وفي** حديث أبي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على
البشر فلطمه رجل من الأنصار وقال تقول ذلك ورسول الله بين أظهرنا فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء **وفي** رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث
وفيه ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى **وعن** أبي هريرة ومن قال أنا خير من يونس
ابن متى فقد كذب **وعن ابن مسعود** لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى **وفي**
حديثه الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم **فاعلم**
أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات **أحدها** أن نهيه عن التفضيل كان قبل
أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد
كذب **وكذلك** قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما هو في الظاهر
كف عن التفضيل **الوجه الثاني** أنه قاله صلى الله عليه وسلم على وجه
التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض **الوجه الثالث**
أن لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه
السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط
من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى عنه إذ أبق إلى الفلك المشحون إذ ذهب مغاضبا فظن
أن لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك **الوجه الرابع**
منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها على حد واحد إذ هي شيء واحد
لا تتفاضل وإنما التفاضل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف
وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها **ولذلك**
منهم رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من أوتي الحكم
صبيا وأوتي بعضهم الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات

قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض الآية. قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك
بثلاثة أحوال أن تكون آياته ومعجزاته أبهر وأشهر أو تكون أمته أزكى وأكثر أو يكون
في ذاته أفضل وأظهر. وفضله في ذاته راجع إلى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه
من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه.
وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للنبوة أثقالا وإن يونس
تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من أوهام من
يسبق إليه بسببها جرح في نبوته أو قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن
في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على أمته. وقد يتوجه
على هذا الترتيب وجه خامس وهو أن يكون أنا راجعا إلى القائل نفسه أي لا
يظن أحد وإن بلغ من الذكاء والعصمة والطهارة ما بلغ أنه خير من يونس لأجل ما
حكى الله عنه فإن درجة النبوة أفضل وأعلى وإن تلك الأقدار لم تحطه عنها حبة
خردل ولا أدنى. وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا إن شاء الله. فقد
بان لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض.

فصل في أسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته

حدثنا أبو عمران موسى بن أبي تليد الفقيه نا أبو عمر الحافظ نا سعيد
بن نصر نا قاسم بن أصبغ نا محمد بن وضاح نا يحيى عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير
بن مطعم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء أنا محمد
وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على
قدمي وأنا العاقب. وقد سماه الله في كتابه محمدا وأحمد فمن

خصائصه

خصائصه تعالى له أن ضمن أسماءه ثناءه وطوى أثناء ذكره عظيم شكره. فأما
اسمه أحمد فأفعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله
عليه وسلم أجل من حُمد وأفضل من حَمِد وأكثر الناس حمدا فهو أحمد المحمودين وأحمد
الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويتشهر في تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الأولون والآخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه السلام ما لم يعط غيره وسمى أمته
في كتب أنبيائه بالحمادين فحقيق أن يسمى محمدا وأحمد. ثم في هذين الاسمين من
عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر هو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد
قبل زمانه. أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى
بحكمته أن يسمى به أحد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب
أو شك. وكذلك محمد أيضا لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده
صلى الله عليه وسلم وميلاده أن نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم
بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالته. وهم محمد بن أحيحة بن
الجلاح الأوسي ومحمد بن مسلمة الأنصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع
ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم. ويقال أول من يسمى بمحمد
محمد بن سفيان. واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الأزد. ثم حمى الله كل من تسمى به
أن يدعي النبوة أو يدعيها أحد له أو يظهر عليه سبب يشكك أحدا في أمره حتى تحققت
السمتان له عليه السلام ولم ينازع فيهما. وأما قوله وأنا الماحي الذي يمحو
الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر إما من مكة وبلاد العرب وما زوي له
من الأرض ووعد أنه يبلغه ملك أمته أو يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال
تعالى ليظهره على الدين كله. وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي

أي على آثاره وعقبه أي يعقب يعقب نبي كما قال وخاتم النبيين وسمي عاقبا لأنه عقب
غيره من الأنبياء و قيل معنى على قدمي أي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا و معنى قوله في خمسة أسماء قيل
إنها موجودة في الكتب المتقدمة وعند أولي العلم من الأمم السالفة والله أعلم
وقد روي عنه عليه السلام في عشرة أسماء وذكر منها طه ويس
حكاه مكي وقد قيل في بعض تفسير طه أنه يا طاهر يا هادي وفي يس
يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره في عشرة أسماء
قد كفى الخمسة الأولى في الحديث الأول قال وأنا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول
الملاحم وأنا المقفى قفيت النبيين وأنا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم
أروه وأرى أن صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو أشبه بالتفسير
وقد وقع أيضا في كتب الأنبياء عليهم السلام قال داود اللهم ابعث لنا
محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه
السلام لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله
وفي حديث أبي موسى الأشعري أنه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه أسماء فيقول
أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة
وكل صحيح إن شاء الله و معنى المقفى معنى العاقب وأما نبي الرحمة والتوبة
والمرحمة والراحة فقد قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وكما وصفه بأنه يزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم وبالمؤمنين رءوف رحيم
وقد قال في صفة أمته إنها أمة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام رحمة لأمته ورحمة للعالمين
ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة

وأما هنا

وأمرها بالتراحم وأثنى عليه فقال إن الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم
الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء وأما رواية نبي الملحمة فإشارة إلى
ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة
مثل حديث أبي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في
حديثه عنه عليه السلام أنه قال أتاني ملك فقال لي أنت قثم أي مجتمع قال والقثوم
الجامع للخير وهذا اسم هو في أهل بيته عليه السلام معلوم وقد
جاءت من ألقابه عليه السلام وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور
والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين
وخاتم النبيين والرءوف والرحيم والأمين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله و
العروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الأمي وداعي الله في
أوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب أنبيائه وأحاديث
رسوله وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وأبي القاسم
والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن
والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر
المحجلين وحبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام
المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم
والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن أسمائه في الكتب
المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس وروح القدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الإنجيل
وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن أسمائه
في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار

قال ثعلب قال خاتم الذي ختم الأنبياء والخاتم أحسن الأنبياء خَلقًا وخُلقًا ويسمى
بالنبي بالفتح والمتحمل واسمه أقطع التوراة أحيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى
صاحب القضيب أي السيف وقع ذلك مفسرا في الإنجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل
به وأمته كذلك وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام
وهو الآن عند الخلفاء وأما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا وأراها
والله أعلم العصا المذكورة في حديث الحوض أذود الناس عنه بعصاي لأهل اليمن
وأما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ إلا للعرب والعمائم تيجان
العرب وأوصافه وألقابه وسماته في الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله

فصل في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ما أحرى هذا الفصل
بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها لكن
لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه ولا أنار الفكر لاستخراج جوهره
إلا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله
فاعلم أن الله تعالى خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم من
أسمائه كتسميته إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم وإبراهيم بحليم ونوحا بشكور
وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم وأيوب بصابر وإسماعيل
بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا صلى الله عليه
وسلم بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى ألسنة أنبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا
منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ
فيها لتأليف فصلين وقد ذكرنا منها في هذا الفصل نحوا من ثلاثين اسما ولعل الله تعالى

كما ألهم إلى ما علم منها وحققه يتم النعمة بإبانة ما لم يظهر لنا الآن ويفتح غلقه
فمن أسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لأنه حمد نفسه وحمده عباده ويكون
أيضا بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات وسمى النبي عليه السلام محمدا وأحمد فمحمد
بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبر داود وأحمد بمعنى أكبر من حمد وأجل من حُمد
وقد أشار إلى نحو هذا حسان بقوله

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه تعالى الرءوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال
بالمؤمنين رءوف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود
المتحقق أمره وكذلك المبين أي البين أمره وإلهيته وبان وأبان بمعنى ويكون بمعنى
المبين لعباده أمر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم
الحق ورسول مبين وقال وقل إني أنا النذير المبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد
كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه
وأمره وهو بمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته أو المبين عن الله ما بعثه به
كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور
أي خالقه أو منور السموات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه
نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا
منيرا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء
به ومن أسمائه تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده
يوم القيامة وسماه شاهدا وشهيدا فقال إنا أرسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم
شهيدا وهو بمعنى الأول ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل
المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه

تعالى كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل جبريل وقال عليه السلام انا اكرم
ولد آدم ومعناه الاسم صحيح في حقه عليه السلام ومن اسمائه تعالى العظيم
ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي عليه السلام وانك لعلى خلق
عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو
عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر
وقيل العلي العظيم الشان وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب
داوود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان ناموسك وشرائعك مقرونة
بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة
بالهداية والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم خطره ونفى
عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار ومن
اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل الخبير
ومن قال تعالى الرحمن فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء رحمه الله
المامور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله
عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي خبير بالوجهين
المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم
معرفته مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح
ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم
او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون الناصر لقوله تعالى ان
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي تستنصروا فقد جاءكم النصر وسمى الله تعالى نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس
عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وهو من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما

وهو

وهو من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي
ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على
امته او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق او المبتدئ بهداية
الامة او المبدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت اول الانبياء في
الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب
على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا فقال انه كان
عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا
شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة
من ذلك لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه العليم والعلام وعالم
الغيب والشهادة ووصف نبيه بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها
والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء
في الخلق وآخرهم في البعث وفي هذا تفسير لقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فقدم محمدا وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ومنه قوله نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من
يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه
وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه
الله بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه
تعالى الصادق في الحديث الماثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام بالصادق وهو
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى

انما وليكم الله ورسوله، وقال عليه السلام انا ولي كل مومن وقال الله تعالى النبي أولى
بالمومنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه، ومن اسمائه تعالى
العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نفسه في القران والتوراة، وامر بالعفو
فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو
قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ
ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن
اراد من عباده، وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي
من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير الحمد لله
الذي هدانا لهذا اي بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط
مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه فالله مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء، وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى
ومن اسمائه تعالى المومن المهيمن وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المومن في حقه تعالى
المصدق وعده عباده، والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل
الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا من ظلمه والمومنين في الاخرة من عذابه
وقيل المهيمن بمعنى المومن مصغر منه فقلبت الهمزة هاء، وقد قيل ان قولهم في الدعاء
آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ
والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين
وكان عليه السلام يعرف بالامين وشهر به قبل النبوءة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا
في قوله ۞ ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق ۞
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يومن بالله
ويومن للمومنين اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى المومن ومن اسمائه تعالى

الغفور

الغفور ومعناه الستر عن الناس بحر الفضل من سيئات الخلق وسمي به المغفر لانه يستر
صاحبه من الذنوب ومنه الرواية في المغفرة ورد العزيز ووقع في كتب الانبياء في اسمائه عليه
السلام والغفور اي المغفور من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او
الذي يغفر به من الذنوب ويعفو، بل يتجاوز عنها كما قال ويعفو عنكم وقال ويخرجهم من الظلمات
الى النور او يكون مغفرا بمعنى مطهر من ادناس الرذيلة وباوزار الدنيا ومن اسمائه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا يغلب او المعز لغيره وقد قال الله تعالى
ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة
والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه و
سماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن
اسمائه تعالى فيما ذكر بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من
اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ۞

فصل

قال القاضي ابو الفضل وفقه الله وما اذكره نكتة اذيل بها
هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم
سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو
ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته
لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق والمخلوق
فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته
تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن
الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى
في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين

التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات. وزاد منه في هذه النكتة
الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا
كفعله فعل ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة
أن تكون لها صفة حديثة كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا
كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر
الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا فقال هذه الحكاية
تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها
مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس أو دفع نقص حصل
ولا بخواطر وأغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه
الوجوه. وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم. وقال الإمام أبو المعالي الجويني من اطمأن إلى
موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل وإن قطع
بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد. وما أحسن قول
ذي النون المصري حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج وصنعه
لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله
بخلافه. وهذا الكلام عجيب نفيس محقق والفصل الآخر تفسير لقوله
ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والثالث تفسير
لقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإياك على التوحيد
والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه حسب المتأمل أن يحقق أن
كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج
إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن إليها ولا ذكرنا فيه
المعجز والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده بل ألفناه لأهل ملته
الملبين لدعوته المصدقين لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لأعمالهم وليزدادوا
إيمانا مع إيمانهم. ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته ومشاهير آياته
لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره مما بلغ
القطع أو كاد. وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة وإذا تأمل
المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله
وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة
نبوته وصدق دعوته. وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه
والإيمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم أن عبد
الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر إليه
فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به
القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا ثنا
أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد
الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة
الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن سلام الحديث. وعن أبي رمثة
التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته قلت هذا
نبي الله صلى الله عليه وسلم. وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له

[illegible] ... وحده ... محمد ... رسول

[illegible] ... **وقال**

[illegible] ... صلى الله عليه وسلم ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

[illegible] **وفي** ... [illegible]

... صلى الله عليه وسلم ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقال الفخر [illegible] ... صلى الله عليه وسلم ...

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقد [illegible]

[illegible]

فصل

اعلم ان الله [illegible] ... على [illegible]

[illegible]

[illegible]

وجاز ان يحصل العلم لجميع في الحال بواسطة تبليغهم كلامه ويكون قد لطف الله بهذه الامة من غير
البشر كالملائكة مع الانبياء ومن جنسهم كالانبياء مع امتهم والطائع منهم [illegible] في سبيل
العقل واخرا ارسلنا لهم يفتقر وحاجة الرسل الى الدلالة على صدقهم من معجزاتهم وجب
تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي
فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله **ومن** انكار واتبعوا بل فيه خارج
عن الحق من جملة من تبعه وجرى منه في مصنفات ائمتنا رحمهم الله **والنبوة**
في اللغة مهموز ماخوذة من النبأ ومعناه الخبر وقد نبهنا على مهموز [illegible] تمهيدا **والمعنى**
ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبي منبئا فعيل بمعنى مفعول او
يكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله فعيل بمعنى فاعل **و**يكون غير مهموز
من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة
عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه موجودان **واما** الرسول فهو المرسل
ولم يات فعول بمعنى مفعول في اللغة الا قليلا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله
اليه **و**اشتقاقه من التتابع **و**منه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه
الزم تكرير التبليغ او الزم الامة اتباعه **واختلف** العلماء هل النبي والرسول
بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء **واحتجوا** بقوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا
الرسول الا نبيا **و**قيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع
على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في
زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا **و**حجتهم من الآية نفسها
التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا
والمعنى وما ارسلنا من رسول الى امة او نبي ليس بمرسل الى احد **وقد**

ثم بعضهم اي الرسل الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يات به نبي غير رسول وان امر
بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي
رسولا نبينا واول الرسل آدم وآخرهم محمد عليهما الصلاة والسلام وفي حديث ابي ذر
عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وعدد الرسل منهم ثلاث
مائة وثلاثة عشر اولهم آدم فان قيل ما معنى النبوءة والرسالة
وليستا عبارة عن حقيقة ذاتية للنبي ولا وصف ذاتي له حتى لا يكون اختيار في تفضيل لهم
وخصوا بالبعث عليه تعويلا واما الوحي فاصله في اللغة الاسراع فلما كان النبي
يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها
بالوحي الذي للنبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب
واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي
اومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي
السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القي
في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل

اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن
الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم
عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل
القرآن على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان
بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء
من خارق الطبع وانتقاض العادة مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون دالا على صدق النبي من
فعل الله تعالى وتقريره من يخبر انه نبي بمثله تحديا له واعلم ان المعجزات
الظاهرة على يد نبينا صلى الله عليه وسلم والدلائل على نبوءته وبراهين صدقه من هذين
النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم آية واظهرهم برهانا كما سنبينه
وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته
بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم
واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل آية او آيات منه بعددها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات
ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل
الينا متواترا كالقرآن فلا مرية ولا خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله
والاستدلال بحجته وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكار وجود محمد في الدنيا وانما
جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة
ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويلحق بهذا
على الجملة انه قد جرى على يديه عليه السلام آيات وخوارق عادات ان لم يبلغ
واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه ولا
يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف المعاند في كونها من قبل
الله وقد قدمنا انها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد
علم وقوع مثل هذا القط من نبينا ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم
وشجاعة عنترة وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم
هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته
والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين

مشتهرٌ منتشرٌ رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار
كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام ومنه ما اختص به الواحد والاثنان ورواه
العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا
على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه السلام معلومة
بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه واخبر عن وجوده ولا يعدل عن
ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عزمنا
خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب
ضعفاء المؤمنين بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع
الماء وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من
الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة
واخبارهم ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط
وعمرة الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يؤثر
عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رأوه كما
رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق منهم اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل
والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا
عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن
والسير وحروف القرآن وخطّأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا
النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا فان امثال هذه الاخبار التي
لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة

وأعلام

واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا ومع
تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد
الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك
اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من آياته على الجملة بالضرورة وهذا
حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما
رحمهم الله وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر
الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن
اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة
على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر
فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار
الامارة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم
الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن
في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي
يرى تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في
القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا
حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا
يعلم هذا من مذاهبهم فضلا عن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات
نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى

فصل في اعجاز القرآن

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه اعلم
وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها

من جهة ضبط أنواعها أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام
كلمه وفصاحته وإيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا
أرباب هذا الشأن وفرسان هذا الميدان قد خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص
به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل
الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم غريزة
وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به إلى كل سبب فيخطبون
بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون
ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك
بالسحر الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الألباب
ويذللون الصعاب ويذهبون الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون
يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي
ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والمنزع
القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق
الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة
والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة
ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب
من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا
في الغث والسمين وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما
راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت

فصاحته

فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت
في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع
إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا
الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر سجالا وأوسع في
الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون
صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رءوس الملأ أجمعين
أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم
صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله فإن
لم تفعلوا ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن الآية
وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وذلك أن المفترى أسهل ووضع الباطل والمختلق
على الاختيار أقرب واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان
يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد
فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ
ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم
ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته
محجمون عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء
بالافتراء وقولهم إن هذا إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين
والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد
قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم

كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم وإلا فلم يخف
على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه
مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد
ابن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال
والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا
بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر
فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا
منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فإذا هو بقائم على رأسه
يتشهد شهادة الحق فاستخبره فأعلمه أنه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب
وغيرها وأنه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فإذا قد
جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة وهي ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه الآية وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين
وبشارتين فهذا نوع من إعجازه منفرد بذاته غير مضاف إلى غيره على
التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأنه
أتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب
عن الإتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من أهلها علم ذلك بعجز
المنكرين من أهلها عن معارضته واعتراف المقرين بإعجاز بلاغته والثاني

إذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من
مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي
حميم وقوله وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي الآية وقوله فكلا أخذنا بذنبه
فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الآية وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حققت
ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها
وتلاؤم كلمها وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت
الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم
هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء
عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام
سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف على طولها ثم إذا ترددت
قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان
صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة
لمعادها.

فصل

الوجه الثاني من الإعجاز صورة نظمه العجيب والأسلوب
الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه
ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته إليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له
ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم
ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر ولما
سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه أبو جهل
منكرا عليه قال والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني والله ما يشبه الذي يقول
شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال إن وفود

ترد عليكم فأجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو
بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته
قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه
ولا عقده قالوا فما نقول قال ما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل وإن
أقرب القول أنه ساحر فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء وأخيه والمرء وزوجه والمرء
وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فأنزل الله في الوليد ذرني ومن
خلقت وحيدا الآيات **وقال عتبة بن ربيعة** حين سمع القرآن يا قوم
قد علمتم أني لم أترك شيئا إلا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا والله
ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة **وقال النضر**
بن الحارث نحوه **وفي** حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيسا فقال والله ما سمعت
بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية أنا أحدهم وإنه
انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر
كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على أقراء الشعر فلم
يلتئم وما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون والأخبار
في هذا صحيحة كثيرة **و**الإعجاز بكل واحد من النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها أو الأسلوب
الغريب بذاته كل واحد منهما نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد
منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها **وإلى هذا**
ذهب غير واحد من أئمة المحققين **وذهب** بعض المقتدى بهم إلى أن الإعجاز
في مجموع البلاغة والأسلوب وأتى على ذلك بقول تمجه الأسماع وتنفر منه القلوب
والصحيح ما قدمناه **و**العلم بهذا كله ضرورة وقطعا **و**من تفنن في علوم البلاغة

وأرهف

وأرهف خاطره ولسانه أدب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه **وقد**
اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه فأكثرهم يقول إنه مما جمع في قوة
جزالته ونصاعة ألفاظه وحسن نظمه وإيجازه وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون
في مقدور البشر وأنه من باب الخوارق الممتنعة عن أقدار الخلق عليها كإحياء الموتى
وقلب العصا وتسبيح الحصا **وذهب الشيخ أبو الحسن** إلى أنه مما يمكن أن
يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه **و**قال به جماعة من أصحابه **وعلى الطريقين** فعجز العرب
عنه ثابت وإقامة الحجة عليهم بما يصح أن يكون في مقدور البشر وتحديهم بأن يأتوا
بمثله قاطع وهو أبلغ في التعجيز وأحرى بالتقريع **و**الاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء
ليس من قدرة البشر لازم وهو أبهر آية وأقمع دلالة وعلى كل حال فما أتوا في ذلك بمقال
بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ
الأنف وإباءة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه إلا اضطرارا وإلا
فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها أهون عليهم وأسرع بالنجح وقطع العذر
وإفحام الخصم لديهم وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الأنام
وما منهم إلا من جهد جهده واستنفد ما عنده في إخفاء ظهوره وإطفاء نوره فما
جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بنطفة من معين مياههم مع طول
الأمد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا
فانقطعوا **فهذان نوعان من إعجازه**

فصل

الوجه الثالث من الإعجاز ما انطوى عليه من الإخبار
بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي أخبر كقوله تعالى

لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره
على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض الآية وقوله
إذا جاء نصر الله والفتح إلى آخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع
سنين ودخل الناس في الإسلام أفواجا فما مات عليه السلام وفي بلاد العرب كلها موضع
لم يدخله الإسلام واستخلف المومنين في الأرض ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى
المشارق إلى أقصى المغارب كما قال عليه السلام زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فكان
كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة
فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على إطفاء
شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد
لله ومنه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
الآية وقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية وقوله لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم
الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم
في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله
يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الآية
وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه إلى قوله في الدين وقد قال مبينا
لما قدره الله واعتقده المومنون يوم بدر وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم الآية
ومنه قوله إنا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم
أصحابه بأن الله كفاه إياهم وكان المستهزئون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه
ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام
ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة صحيحة

فصل

فصل

الوجه الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة
والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب
الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به
على نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وأن مثله لم ينله بتعليم وقد
علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة
لم يغب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم وقد كان أهل الكتاب كثيرا ما
يسألونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا
كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف وإخوته وأصحاب الكهف
وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الأنباء وبدء الخلق وما في التوراة والإنجيل
والزبور وصحف إبراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما
ذكر منها بل أذعنوا لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد
ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم
على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم
وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم إياه عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم
ومستودعات سيرهم وإعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن
الروح وذي القرنين وأصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم إسرائيل على نفسه
وما حرم عليهم من الأنعام ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله
ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل وغير ذلك من أمورهم التي نزل فيها القرآن
فأجابهم وعرفهم بما أوحي إليه من ذلك أنه أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم
صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده إياه كأهل نجران وابن

صوريا وابني أخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى أن فيما عندهم
من ذلك لما حكاه مخالفة دعي إلى إقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة
فاتلوها إن كنتم صادقين إلى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع
فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر أن واحدا منهم
أظهر خلاف قوله من كتبه ولا أبدى صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله يا أهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين

فصل

هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية
ومن الوجوه البينة في إعجازه من غير هذه الوجوه آي وردت بتعجيز قوم
في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود
قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس الآية قال
أبو إسحاق الزجاج في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال
لهم فتمنوا الموت إن كنتم صادقين وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لا يقولها رجل
منهم إلا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق
رسوله وصحة ما أوحي إليه إذ لم يتمنه أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا
ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال أبو محمد
الأصيلي من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم أمر الله بذلك نبيه
يقدم عليه ولا يجيب إليه وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك
آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه أساقفة نجران وأبوا الإسلام فأنزل
الله عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها ورضوا بأداء

الجزية

الجزية وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم أنه نبي وأنه ما لاعن قوم نبيا
قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
إلى قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فأخبرهم أنهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية
أدخل في باب الإخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها

فصل

ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه
والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وإنافة خطره وهي على المكذبين به
أعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه
لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام إن القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته
توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله وقال
لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية ويدل على أن هذا شيء خص به أنه يعتري من
لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني أنه مر بقارئ فوقف
يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به ومنهم من كفر
فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى
قوله المصيطرون كاد قلبي أن يطير وفي رواية وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة أنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف
قومه فتلا عليهم حم فصلت إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك

عتبة فيّ النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكفّ **وفي رواية**
فجعل النبي يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى إلى السجدة
فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم
يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر إليهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له **وقد حكي** عن غير واحد ممن رام
معارضته أنه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك **فحكي** أن ابن المقفع
طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك فرجع فمحا
ما عمل وقال أشهد أن هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من أفصح أهل
وقته **وكان** يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه فحكي أنه رام
شيئا من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
قال فاعترتني منه خشية ورقة حملتني على التوبة والإنابة

فصل

ومن وجوه إعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت
الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون وقال
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية وسائر معجزات الأنبياء انقضت بانقضاء
أوقاتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته
على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لأول نزوله إلى وقتنا
هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والأعصار كلها طافحة بأهل البيان و
حملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد
فيهم كثير والمعادي للشرع عتيد فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا
ألف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه

في ذلك إلا بزند شحاح بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه والنكوص
على عقبيه

فصل

وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في إعجازه وجوها كثيرة
منها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة
وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادى إذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس
بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث أصحابها لها
لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها **ولهذا**
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي
عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به
الأهواء ولا تلتبس به الألسنة هو الذي لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا إنا
سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد **ومنها** جمعه لعلوم ومعارف لم
تعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط
بها أحد من علماء الأمم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم
الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية
وأدلة بينة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد أن ينصبوا
أدلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر
على أن يخلق مثلهم وقل يحييها الذي أنشأها أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدتا **إلى** ما حواه من علوم السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم
وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم **قال الله جل اسمه**
ما فرطنا في الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا

لنا فيه هذا القرآن من كل مثل وقال عليه السلام إن الله أنزل هذا القرآن آمرا
وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم
ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن
حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي
إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي
عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا
يتشان فيه نبأ الأولين والآخرين وفي الحديث قال الله لمحمد عليه السلام إني منزل
عليك توراة حديثة تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع
العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فإنه فهم العقول
ونور الحكمة وقال تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم
فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة ألفاظه
وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه فيه بين الدليل ومدلوله وذلك أنه احتج بنظم القرآن
وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمع في الآذان وأحلى على الأفهام فالناس
إليه أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه
وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسائر

الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر
حفظه للغلمان في أقرب مدة ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن
ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من
باب إلى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار
ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب إلى غير ذلك من فوائد
دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت
جزالته وقل رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول ص وما جمع فيها من أخبار
الكفار وشقاقهم وتقريعهم بإهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وتعجبهم
مما أتى به والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم
وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله
لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره
ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء كل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام ومنه
الجملة الكثيرة التي انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما
ذكرناه أنه ذكر في إعجاز القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل
في باب بلاغته فلا يجب أن تعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة
وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة
الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها من خواص
القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي وإعراض الكفرة

عن ذلك بآيته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه **اخبرنا** الحسين بن
محمد الحافظ من كتابه عن القاضي سراج بن عبد الله القاضي ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن
ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق
الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا **وفي** رواية مجاهد
ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم **وفي** بعض طرق الاعمش بمنى **ورواه** عنه مسروق وانه
كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر
القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد آخر هل راوا هذا
فاتوا فسألوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك **وحكى** السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال
فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الآفاق حتى تنظروا ارأوا ذلك ام لا فاخبر اهل
الآفاق انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر **ورواه** ايضا عن ابن مسعود
علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله **وقد** رواه غير ابن مسعود كما
رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم فقال
علي من رواية ابي حذيفة الارحبي انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعن انس سأل اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق
القمر مرتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة **وفي** رواية معمر وغيره عن قتادة
عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر **ورواه** عن جبير
ابن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد **ورواه** عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن
عتبة **ورواه** عن ابن عمر مجاهد **ورواه** عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن
ابي عمران الازدي **واكثر** طرق هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة **ولا يلتفت**
الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم

اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز
تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض
فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من
اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال **ولهذا** نجد الكسوفات في بعض
البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون
لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم **وآية** القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء
والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد
ذلك واشتغل به **ولذلك** ما يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به
حتى يخبر **وكثيرا** ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع
عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها **وخرج**
الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في
طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها
طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر **قال**
وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات **وحكى** الطحاوي ان احمد بن صالح كان
يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة
وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن اسحاق لما اسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء قال
يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس

فصل في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم تسليما

أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من
بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود
حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه
ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو محمد بن الفخار ثنا أبو عيسى
ثنا يحيى ثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده
وأمر الناس أن يتوضأوا منه قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى
توضأوا من عند آخرهم ورواه أيضا عن أنس قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو
لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن أنس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين
ونحوه عن ثابت عنه وعنه أيضا وهم نحو من سبعين رجلا وأما ابن مسعود
ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا
ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل من ماء فأتي بماء
فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول
الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال
العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة ورواه

مثله

مثله عن أنس عن جابر وفيه أنه كان في الحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت
عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي به النبي
صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت
بها فوضعتها بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه
وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة
واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي
أحد له حاجة فرفع رسول الله يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي أن النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره أتي بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيره
فسكبه في ركوة ووضع أصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون ثم
يتوضأون ويقومون قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا
في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع
شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن لا يسكت على باطل
فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر أحد
من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

فصل

ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وابتعاثه بمسه
ودعوته فيما روى مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وأنهم وردوا
العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في
شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه وأعاده فيها فجرت
بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق

الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا وفي
حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها
لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها قال البراء واتي بدلو منه فبصق فدعا وقال سلمة فاما دعا
واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الطريق عن ابن شهاب
في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب
ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في
ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملئوا كل
اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها منه وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عن
عمران بن حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان
النبي صلى الله عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل موتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر
حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبي وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر
حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلاثمائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة
احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبا وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن
حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض اسفاره فوجه
رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان
فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه
ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملئوا
اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملئوه قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا
امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملا ثوبها وقال اذهبي فانا لم نرزا من

مائك

مائك شيئا ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال نبي
الله هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه
دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من
العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى
الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت
فملئوا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال
للنبي وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي وضرب بقدمه الارض
فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه دعاؤه بالاستسقاء وما
جانسه

فصل

ومن معجزاته تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه حدثنا
الفقيه القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم
ابن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل ياكل منه
وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله
لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى
الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده اي
ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في اطعامه صلى
الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله
لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء
وايمن وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول الله ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما

فقال ادع ثلاثين من أشراف الأنصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوا ثم قال ادع ستين
فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج منهم أحد حتى أسلم
وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا **وعن سمرة**
ابن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى
الليل يقوم قوم ويقعد آخرون **ومن ذلك** حديث عبد الرحمن بن أبي بكر
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من
طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين والمائة إلا وقد
حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير **ومن ذلك** حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه
ومثله لسلمة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت الناس مع
النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية
من الطعام وفوق ذلك وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة
فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملأوه
وبقي منه **وعن** أبي هريرة أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو له أهل
الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا
وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع **وعن علي بن أبي طالب** جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم
يأكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي
كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب **وقال أنس** إن
النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمرني أن أدعو له قوما سماهم وكل من
لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه

قدامه

قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان
وكان القوم أحدا أو اثنين وسبعين **وأمر** عمر بن الخطاب أن يزود أربع مائة
راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال اذهب فذهب فزودهم منه
وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي ومن رواية
جرير **و**مثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربع مائة راكب من
مزينة **ومن ذلك** حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه
أصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم
بعد أن أمره بجدها وجعلها بيادر في أصولها ومشى فيها ودعا فأوفى منه جابر
غرماء أبيه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة **وفي** رواية مثل ما أعطاهم قال
وكان الغرماء يهودا فعجبوا من ذلك **وقال أبو هريرة** أصاب الناس مخمصة
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود
قال فأتني به فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا قال خذ ما جئت
به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه
وأطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر إلى أن قتل عثمان فانتهب مني
فذهب **وفي** رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله عز وجل **و**
ذكر مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وأن التمر كان بضع عشرة تمرة **ومنه**
أيضا حديث أبي هريرة حين أصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجد
لبنا في قدح قد أهدي إليه وأمره أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت
أحق أن أصيب منه شربة أتقوى بها فدعوتهم وذكر أمر النبي له أن يسقيهم فجعلت
أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روي جميعهم قال فأخذ النبي

صلى الله عليه وسلم الفرخ وقال يغفر الله لك وأنت اعفر له بشيء فبشيء ثم قال اللهم
وما زال يقولها وأشياء حتى قلت أو الذي يحتاط بالخبز ما أجزأه مثلكما فإن هذا
الفرخ مجير الله وسمى وشيء في الفضل وفي حديث خالد بن عمير العدوي أنه أهدي
أهدي للنبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا
تشبع عياله عضوا عضوا وان النبي صلى الله عليه وسلم أكل من بعض الشاة وجعل
فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ثم لعياله فقال كلوا وأفضلوا ثم جاء
خبز اتوا بتي ومن حديث دلاجهي في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي فاطمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بلالا بقصعة من أربعة أمداد أو خمسة
ويذبح جزورا لوليمتها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل الناس رفقة رفقة
يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه
وقال كلوا وأطعموا من غشيكم وفي حديث أنس تزوج النبي صلى الله عليه وسلم
فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم أدع أحدا لقيته
إلا دعوته وذكر أنهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على
الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال ارفع فما
أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وأكثر فصول هذا الحديث في الثلاثة
في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر
من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها في قصص
مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة

واجابتها

وإجابتها دعوته حدثنا أبو محمد بن عتاب الشيخ الصالح فيما
أجازنيه عن أبي عمر الطلمنكي عن أبي بكر بن المهندس عن أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن
عمران الأخنسي حدثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي
قال هل لك إلى خير قال وما هو قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ثم
رجعت إلى مكانها وعن بريدة سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال
له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين
يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال
الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك فاستوت فقال الأعرابي
ائذن لي أسجد لك قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قال
فأذن لي أقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل
ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فإذا بشجرتين
بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن
من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع
قائده وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي
بإذن الله فالتأمتا وفي رواية أخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت ثم رجعت
حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي فالتفتت

والشجرتان

فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا **وروى أسامة** بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن **وقال يعلى بن سيابة** كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر أمر وديتين وفي رواية أشاءتين **وعن غيلان بن سلمة الثقفي** مثله في شجرتين **وعن ابن مسعود** عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة حنين **وعن** يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت إلى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت أن تسلم علي **وفي** حديث عبد الله بن مسعود آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة **وعن مجاهد** عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل الحديث الأول أو نحوه **قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه** فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم

فصارت

فصارت في انتشارها من القوة حيث هي **وذكر ابن فورك** أن النبي صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له بنصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا وهي هناك معروفة معظمة **ومن ذلك** حديث أنس أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك آية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فأمرها فرجعت إلى مكانها **وعن علي** نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله **وحزنه** صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له **وذكر ابن إسحاق** أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت **وعن** الحسن أنه عليه الصلاة والسلام شكا إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى إليه أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله تعالى ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت أن لا مخافة علي **ونحو منه** عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها وذكر نحوه **وعن ابن عباس** رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لأعرابي أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح

فصل في قصة حنين الجذع

ويعضد هذه الآية حديث أنين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر قد خرجه أهل الصحيح **ورواه** من الصحابة بضعة عشر منهم أبي

ابن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري
وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث انس صحيح **قال جابر بن عبد الله** كان المسجد مسقوفا على جذوع
نخل وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر
سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار **وفي** رواية انس حتى ارتج المسجد
لخواره **وفي** رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به **وفي** رواية المطلب
وأبي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت
زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر **وزاد غيره**
فقال والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر
كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس **وفي** بعض الروايات عن
سهل فدفن تحت منبره او جعل في السقف **وفي** حديث ابي فكان اذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض
وعاد رفاتا **وذكر** الاسفرائيني ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه **وفي**
حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل لك خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت
اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم
يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى
فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء
على دار الفناء **فكان الحسن** اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه
ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن وابو نضرة وابن
المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب وابو صالح **ورواه** عن انس بن مالك الحسن وثابت
واسحاق بن ابي طلحة **و**رواه عن ابن عمر نافع وابو حية **و**رواه ابو نضرة وابو الوداك
عن ابي سعيد **و**عمار بن ابي عمار عن ابن عباس **و**ابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن
سهل بن سعد **و**كثير بن زيد عن المطلب **و**عبد الله بن بريدة عن ابيه **و**الطفيل بن ابي
عن ابيه **قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه** فهذا
حديث كما تراه خرجه اهل الصحة **و**رواه من الصحابة بضعة عشر وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره **و**بدون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب
والله المثبت على الصواب

فصل

ومثل هذا في سائر الجمادات **حدثنا** القاضي ابو عبد الله محمد
بن عيسى التميمي القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب ابو القاسم ثنا
ابو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا ابو احمد
الزبيري ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا
نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل **وفي** غير هذه الرواية عن عبد الله قال كنا ناكل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه **وقال انس**
اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في ايدينا فما سبحن **وروى** مثله
ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان **وقال علي** كنا بمكة مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا قال السلام

السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام إني لأعرف حجرا بمكة
كان يسلم علي قيل إنه الحجر الأسود. وعن عائشة لما استقبلني جبريل بالرسالة
جعلت لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وعن جابر بن عبد الله
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له. وفي حديث العباس إذ اشتمل
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم
بملاءته فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين. وعن جعفر بن محمد
عن أبيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل
منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح. وعن أنس صعد النبي صلى الله عليه
وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان أحدا فرجف بهم فقال اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق
وشهيدان. ومثله عن أبي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فإنما
عليك نبي أو صديق أو شهيد. والخبر في حراء أيضا عن عثمان قال ومعه عشرة من
أصحابه أنا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال ونسيت الاثنين. وفي حديث سعيد
ابن زيد أيضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه. وقد روي أنه حين طلبته
قريش قال له ثبير اهبط عني يا رسول الله فإني أخاف أن يقتلوك على ظهري فيعذبني
الله تعالى فقال له حراء إلي يا رسول الله. وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار
أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه. وعن ابن عباس
كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الأرجل بالرصاص في الحجارة فلما
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده
إليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية فما أشار إلى وجه صنم إلا وقع
لقفاه ولا لقفاه إلا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم. ومثله في حديث ابن

مسعود

مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد. ومن ذلك
حديثه مع الراهب في ابتداء أمره إذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب لا يخرج إلى أحد
فخرج وجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد
العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال إنه لم يبق شجر
ولا حجر إلا خر ساجدا له ولا يسجدان إلا لنبي وذكر القصة ثم قال وأقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة
فلما جلس مال الفيء إليه

فصل في الآيات في ضروب الحيوانات

حدثنا سراج بن عبد الملك أبو الحسين الحافظ ثنا أبي القاضي يونس
ثنا أبو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده ثنا أبو العلاء أحمد بن
عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا داجن
فإذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب
وإذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب. وروي عن عمر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا فقال من
هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن هذا الضب وطرحه
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه
القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في
السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه
قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من
كذبك فأسلم الأعرابي. ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن أبي سعيد
الخدري وقال بينما راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه

فأقعى الذئب وقال للراعي اتق الله حلت بيني وبين رزقي فقال الراعي العجب من ذئب
يتكلم بكلام الإنس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث
الناس بأنباء ما قد سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي قم
فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن أبي
هريرة وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب أنت أعجب واقفا على غنمك وتركت
نبيا لم يبعث الله قط نبيا أعظم منه عنده قدرا قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف
أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود
الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه
ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي يقاتل فقال له النبي عد إلى غنمك
تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس
وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الأكوع
وأنه كان صاحب هذه القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل حديث أبي سعيد وقد
روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب
وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب أعجب
من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار فقال أبو سفيان
واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل هذا
الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عمارة بن خزيمة بن ثابت لما تعجب من كلام حمار أصيب
وانتشار الشعير الذي ذكر عنه النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه سمعه فقال يا عباس
أتعجب من كلام حمار وقد تعجب من تعجبك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس
للإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل أتى النبي
وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان على غنم لهم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف

بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك وردها إلى أهلها ففعل فسارت
كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس دخل النبي حائطا للأنصار وأبو بكر وعمر ورجل
من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له فقال أبو بكر نحن أحق بالسجود لك منها الحديث
وعن أبي هريرة دخل النبي حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن
ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل
الحائط أحد إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع
مشفره في الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني
رسول الله إلا عاصي الجن والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي حديث عنه
في حديث الجمل أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه
وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية أنه شكا إلي أنكم أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا
نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم
وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها وندائهم
لها إنك لمحمد وإنها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى
ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبي يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن
أرقم والمغيرة بن شعبة أن النبي ليلة الغار أمر الله شجرة فنبتت تجاه النبي فسترته
وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى
الطالبون ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي يسمع كلامهم
فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس أو ست أو سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة
كان النبي في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي

ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع فقال وتفعلين فقالت نعم
فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابي وقال يا رسول الله ألك حاجة
قال تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله
وأنك رسول الله **ومن هذا الباب** ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول
الله إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك **وفي**
رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق **وأخذ**
عليه السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما
وبقي ذلك الأثر فيها وفي نسلها بعد **وما روي** عن إبراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي يعفورا
وأنه كان يوجهه إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي
لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات **وحديث الناقة** التي شهدت عند
النبي لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو في عسكره وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما أراك تملكها فربطها فوجدها
قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره **وفيه** فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء
بها هو الذي ذهب بها **وقال** لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره
لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى
صلى الله عليه وسلم **و**الحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك
وما وقع منه في كتب الأئمة

فصل

فصل في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي
أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا
وإجازة قالوا حدثنا أبو علي الحافظ حدثنا أبو عمر الحافظ حدثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى حدثنا أحمد
ابن سعيد حدثنا ابن الأعرابي حدثنا أبو داود حدثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن
عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة
مصلية سمتها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا
أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك
على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس
منك قال فأمر بها فقتلت **وقد** روى هذا الحديث أنس وفيه قالت
أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا **و**كذلك عن أبي
هريرة من رواية غيره وقال فما عرض لها **و**رواه أيضا جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به
هذه الذراع قال ولم يعاقبها **و**كذلك ذكر الخبر ابن إسحاق وقال فيه فتجاوز عنها **وفي**
الحديث الآخر عن أنس أنه قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه
ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري **وحكى ابن إسحاق**
إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله
به من النبوة **وقال ابن سحنون** أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قتل اليهودية التي سمته **وقد** ذكرنا اختلاف الروايات في
ذلك عن أبي هريرة وأنس وجابر **وروى** الحديث البزار عن أبي سعيد فذكر مثله

ثم انه قال اخرج فبسطه بيده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر منا احدا

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم تجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلابد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب تركيبا من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع وقال ان الله يخلق فيها حياة ويخرق لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به آكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن معرض بن معيقيب رضي الله عنه رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك

اليمامة

اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه ان شابا من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينني على كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات

اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال نا ابو اسحاق الحبال قال نا ابو محمد بن النحاس نا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحاق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقصة احد بطولها قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوم بدر عن فرسه حتى ابيضت وأصيب يوم أحد عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على
وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وروى
في قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض بن عمر بن قتادة ورواها أبو
سعيد الخدري عن قتادة وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد قال
فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى قال يا رسول الله
ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم إني
أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه
بك إلى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد كشف الله عن
بصره وروي أن ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله
فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله
وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك أن أباه ابيضت
عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر
فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره
فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن أنيس
فلم تمد وتفل في عيني علي رضي الله عنه يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا ونفث
على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها
السيف إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ
انكسرت فبرئ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن أبي طالب فجعل يدعو فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه أو عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك
الوجع بعد وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته أيضا
أن خبيب بن يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على
عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل
يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل
عقول الناس وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع
ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع
محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في كف
شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي
صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر
وسألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت
إنما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأل شيئا
فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة

فصل في إجابة دعائه

ومن ذلك باب واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا
لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة
كان صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده
حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا
أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله ثنا حرمي
ثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله خادمك
أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته ومن روايته

ورسول الله

ينهههم. قال أنس: فوالله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم. وفي رواية: وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد. ودعا صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة، قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا، وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا، وقيل مائة ألف، وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا. وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة، أعتق يوما ثلاثين عبدا، وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها. ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة. ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له. ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر. قال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر. وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت. ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا. وقال لأبي قتادة: أفلح وجهك، اللهم بارك له في شعره وبشره، فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة. وقال للنابغة: لا يفضض الله فاك، فما سقطت له سن، وفي رواية: فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل أكثر من هذا. ودعا لابن عباس: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن. ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه. ودعا للمقداد بالبركة فكان عنده غرائر من المال. ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال:

لقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا. وقال البخاري في حديثه: فكان لو اشترى التراب ربح فيه. وروي مثل هذا لغرقدة أيضا. وندت له ناقة فدعا فجاء بها إعصار ريح حتى ردها عليه. ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت. ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حر ولا برد. ودعا لفاطمة ابنته أن لا يجيعها الله، قالت: فما جعت بعد. وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال: اللهم نور له، فسطع له نور بين عينيه، فقال: يا رب أخاف أن يقولوا مثلة، فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور. ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا. ودعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا. ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد. وقال لرجل رآه يأكل بشماله: كل بيمينك، فقال: لا أستطيع، فقال: لا استطعت، فلم يرفعها إلى فيه. وقال لعتبة بن أبي لهب: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فأكله الأسد [illegible]. وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد، مع الدعاء وذكر تسميتهم، فقال: لقد رأيتهم قتلوا يوم بدر. ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال: كذلك فكن، فلم يزل يختلج إلى أن مات. ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة. وجحده رجل بيع فرس، وهي التي شهد فيها خزيمة له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم إن كان كاذبا فلا تبارك له فيها، فأصبحت شائلة برجلها. ومثل هذا

لعز

الشباب أكثر من أن يحاط به

فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره

أخبرنا أحمد بن محمد أبو عمر المقرئ إجازة وحدثنا القاضي أبو علي سماعا والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد قالوا حدثنا أبو الوليد الفقيه حدثنا أبو ذر حدثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم حدثنا الفربري حدثنا البخاري حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره يبطئ فلما رجع قال وجدنا فرسكم بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس جملا لجابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من نسلها باثني عشر ألفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر أنها أخرجت جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وأخبرنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فأخذته الأكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وسكب صلى الله عليه وسلم من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد وبصق في بئر كانت في دار أنس فلم يكن بالمدينة بئر أعذب منها ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه

ملح

ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب وأتي عليه السلام بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك وأعطى الحسن والحسين عليهما السلام لسانه عليه الصلاة والسلام فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لأم مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تعصرها ثم دفعها إليها فإذا هي مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الأدم وليس عندهم شيء فتعمد إليها فتجد فيها سمنا فكانت أدمها حتى عصرتها وكان يتفل في أفواه الصبيان المراضيع فيجزيهم ريقه إلى الليل ومن ذلك بركة يده صلى الله عليه وسلم فيما لمسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى أربعين أوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره فأخذت كلها إلا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فأخذت وفي كتاب البزار فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه فوزن منها لمواليه أربعين أوقية وبقي عنده مثل ما أعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب أوله وشربت آخره فما برحت أجد شبعها إذا جعت وريها إذا عطشت وبردها إذا ظمئت وأعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فإنه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فإذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فإنه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويلا أبيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده

يقاتل به في المواقف إلى أن استشهد في قتال أهل الردة، وكان هذا السيف يسمى العون
ودفع عليه السلام لعبد الله بن جحش يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع
في يده سيفاً. ومنه بركته عليه السلام في درور الشياه الحوائل باللبن
الكثير كقصة شاة أم معبد وأعنز معاوية بن ثور وشاة أنس وغنم حليمة مرضعته
وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد. ومن
ذلك تزويده أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم الصلاة
نزلوا فحلوه فإذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة. ومسح على
رأس عمير بن سعد وبرّك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب. وروي مثل هذه القصص عن
غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك. وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب
يغلب طيب نسائه لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره
وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة
كغرة الفرس. ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة
ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره
أسود فكان يدعى الأغر. وروي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني. ومسح
وجه آخر فما زال على وجهه نور. ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق
حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة. ووضع يده عليه السلام على رأس حنظلة
ابن حذيم وبرّك عليه فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها
فيوضع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم. ونضح في وجه
زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها. ومسح
صلى الله عليه وسلم على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره. وروي مثله في
خبر المهلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرءوا. وأتاه رجل

به أدرة

أدرة فأمره أن ينضحها بماء من عين مج فيه فبرأ. وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه
وسلم بأحد به مس فصك في صدره إلا ذهب، والمس الجنون. ومج عليه السلام في دلو
من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك. وأخذ قبضة من تراب يوم حنين فرمى بها
في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن أعينهم. وروي مثله
في خبر المطلب بن قضاعة. وشكا إليه أبو هريرة النسيان فأمره أن يبسط ثوبه وغرف بيده
فيه ثم أمره بضمه ففعل فما نسي شيئاً بعد. وما يروى عنه في هذا كثير. و
ضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب
وأثبتهم. ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميماً ودعا
له بالبركة ففرع الرجال طولاً وتماماً

فصل

ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون. والأحاديث في هذا الباب
بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره. وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع
الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على
الغيب. حدثنا الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الفهري إجازة وقرأته على
غيره قال أبو بكر نا أبو علي التستري نا أبو عمر الهاشمي نا اللؤلؤي نا أبو داود نا
عثمان بن أبي شيبة نا جرير عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة
إلا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وإنه ليكون منه
الشيء فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه
ثم قال حذيفة ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه

لنا باسمه وباسم أبيه وقبيلته وقال أبو ذر رضي الله عنه لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما وقد
خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من
الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الأمن حتى
تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله تعالى وأن المدينة تغزى وتفتح خيبر على
يد علي في غد يومه وما يفتح الله تعالى على أمته من الدنيا ويؤتون من زهرتها وقسمتهم
كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء وسلوك سبيل
من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وأنها ستكون
لهم أنماط ويغدو أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع
أخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وأنتم اليوم خير
منكم يومئذ وأنهم إذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم
عليهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى
وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر أن الروم ذات
قرون إلى آخر الدهر وبذهاب الأمثل فالأمثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم
وظهور الفتن والهرج وقال عليه السلام ويل للعرب من شر قد اقترب وأنه زويت
له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمته ما زوي له منها ولذلك
كان امتدادها في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق إلى بحر طنجة حيث لا عمارة
وراءه وذلك ما لم تملكه أمة من الأمم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك و
قوله عليه السلام لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب وهي
الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه

وفي حديث آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس و
أخبر بملك بني أمية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني أمية مال الله دولا وخروج ولد
العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال أهل
بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وأن أشقاها الذي يخضب هذه
من هذه أي لحيته من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياؤه الجنة وأعداؤه النار
فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب إليه من الروافض كفروه وقال
يقتل عثمان رحمه الله وهو يقرأ في المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون
خلعه وأنه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا
وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى
كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند خروجها إلى البصرة
وأن عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير
ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه
من أهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب
وحذيفة آخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا
هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا
زوجته عنه فإني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال
عن الغسل قال أبو سعيد فوجدنا رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش
ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب
ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وأن مسيلمة يعقره الله وأن فاطمة أول أهله لحوقا
به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكان كذلك بمدة الحسن بن علي

وقال إن هذا الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم
يكون عتوا وجبروتا وفسادا في الأمة وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء
يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في أمتي ثلاثون كذابا آخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون
فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان
وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي
زمان إلا والذي بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت لسميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه الأمة
أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى لم
تبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج
الذي فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة
يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا
وأنه هو يغزوهم وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد
من سكنى البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا
بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاة فقال هاجت لموت
منافق فلما رجعوا إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم
في النار أعظم من أحد قال أبو هريرة فذهب القوم يعني ماتوا
وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة وأعلم بالذي غل خرزا من خرز يهود
فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث ناقته وكيف تعلقت
بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب إلى أهل مكة وبقضية عمير مع صفوان حين

ساره وسره رحمه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم
قاصدا لقتله وأطلعه رسول الله على الأمر والسر أسلم وأخبر بالمال الذي تركه
عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فأسلم وأعلم
بأنه سيقتل أبي بن خلف وفي عتبة بن أبي لهب أنه يأكله كلب الله وعن مصارع
أهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وأخبر
بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وبموت النجاشي يوم مات
وهو بأرضه وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك
اليوم فلما حقق فيروز القصة أسلم وأخبر أبا ذر بتطريده فكان كما
قال ووجده وحده في المسجد فقال له كيف بك إذا أخرجت منه قال أسكن المسجد الحرام
قال فإذا أخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده وأخبر
أن أسرع أزواجه به لحوقا أطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة وأخبر
بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال
في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه إلى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال
في الذين كانوا معه على حراء اثبت فإنما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة
والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك إذا ألبست سواري كسرى فلما
أتي بهما عمر ألبسهما إياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وقال
تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض يخسف
بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه
الأمة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما
واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر

فكان كذلك فلما قام بمكة مقام أبي بكر يوم بلغهم موت النبي وخطب بنحو خطبته وثبتهم
وقوى بصائرهم وقال لخالد حين وجهه لأكيدر إنك تجده يصيد البقر فوجده
مسيرة ... أمور كثيرة في حياته وبعد مماته كما قال عليه السلام إلى
ما أخبر به جلساءه من أسرارهم وبواطنهم وأطلع عليه من أسرار المنافقين وكفرهم
وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى إن كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم
يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء وإعلامه بصفة السحر الذي سحره به
لبيد بن الأعصم وكونه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وأنه ألقي في بئر ذروان
فكان كما قال ووجد على تلك الصفة وإعلامه قريشا بأكل الأرضة ما في صحيفتهم
التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وإبقائها فيها كل اسم لله
فوجدوها كما قال ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء
ونعته إياه نعت من عرفه وإعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وإنذارهم
بوقت وصولها فكان كل ذلك كما قال عليه السلام إلى ما أخبر به من
الحوادث التي تكون ولم تأت بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عمران بيت
المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية
ومن أشراط الساعة وآيات حلولها وذكر الحشر والنشر وأخبار الأبرار والفجار
والجنة والنار وعرصات القيامة وبحسب هذا الفصل أن يكون ديوانا
مفردا يشتمل على أجزاء وحده وفيما أشرنا إليه من نكت الأحاديث التي
ذكرناها كفاية وأكثرها في الصحيح وعند الأئمة

فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم

ربك فإنك بأعيننا وقال أليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا أعداءه المشركين
وقيل غير هذا وقال إنا كفيناك المستهزئين وقال وإذ يمكر بك الذين
كفروا الآية أخبرنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي بقراءتي عليه
والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا أبو الحسين الصيرفي قال ثنا
أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا أبو العباس المروزي ثنا أبو عيسى الترمذي
ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله
ابن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت عليه
هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه
من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها
فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فأرعدت يد
الأعرابي وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية
وقد رويت هذه القصة في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب
هذه القصة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع إلى قومه وقال
جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم
بدر وقد انفرد من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله
وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل
اسمه دعثور بن الحارث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان
سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل
أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت أنه ملك
وأسلمت قيل وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم

قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية. وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحارث المحاربي أراد
أن يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضيا
سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر
سيفه من يده. الزلخة وجع الظهر. وقيل في قصته غير هذا. وذكر أن فيه نزلت
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلني. وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة
الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما
يطؤها كثيبا أهيل. وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم أتت رسول الله وهو جالس في المسجد
ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر فأخذ الله
ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني
والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه. وعن الحكم بن أبي العاص تواعدنا
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا أنه
بقي بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى
أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة
فحالت بيننا وبينه. وعن عمر تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة
قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ
الحاقة ما الحاقة إلى فما منكم من أحد عنه حاجزين فضرب أبو جهم على عضد عمر وقال النجاء وفرا
هاربين فكان من مقدمات إسلام عمر رضي الله عنه. ومنه العبرة
المشهورة والكفاية التامة عندما أخافته قريش وأجمعت على قتله وبيتوه

فخرج

فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذر التراب على
رؤوسهم وخلص منهم. وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات
ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار
ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد. ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام. وقصته
مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي أبي بكر الجعائل
فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه
وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم
ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي وهو لا يلتفت وأبو بكر يلتفت فقال للنبي أتينا
فقال لا تحزن إن الله معنا فساخت ثانية إلى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت
ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالأمان فكتب له النبي أمانا كتبه ابن فهيرة وقيل أبو
بكر وأخبرهم بالأخبار وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم
فانصرف يقول للناس كفيتم ما هاهنا وقيل بل قال لهما أراكما دعوتما علي فادعوا لي
فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم. وفي خبر آخر أن راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع
وأنسي ما خرج له حتى رجع إلى موضعه. وجاءه فيما ذكر ابن
إسحاق وغيره أبو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت
بيده ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل
فانطلقت يداه. وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه
عن شأنه فذكر أنه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي أن يأكلني فقال النبي
ذاك جبريل لو دنا لأخذه. وذكر السمرقندي أن رجلا من بني المغيرة أتى النبي

صلى الله عليه وسلم ليقتله فعصمه الله على تقدمه فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه ولم يرهم حتى دعاهم وذكر ان في مثل هذه القصة نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الآيتين **ومن ذلك** ما ذكره ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم **وقد** قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت **وحكى** السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة **وذكر** اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه السلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى الآية الى آخر السورة **ويروى** ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدره

وهو

وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه **وعن فضالة بن عمير** اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال اما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه **ومن** مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك **ومن** عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله حتى بلغ فيه امره **ومن ذلك** نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه السلام

فصل

ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها الى

الجمع قد يمهد كالأمثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض والتبيين للمشكل
الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن
الأخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا
الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه
واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من
الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف
بالنار آجلا الاسود احتواؤه على ضروب العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة
والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك من العلوم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه
السلام فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على
رجل طائر **وقوله** الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين
من الشيطان **وقوله** اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المومن تكذب **وقوله**
اصل كل داء البردة **وما** روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن
والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه
الدارقطني **وقوله** خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي
وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة
اشفية **وقوله** ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث
للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس **وقوله** وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امراة
ام ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة الحديث بطوله **و**
كذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى
سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك **وقوله** حمير راس العرب ونابها ومذحج
هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها **وقوله**

ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض **وقوله** في الحوض زواياه
سواء **وقوله** في حديث الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان
والف وخمسمائة في الميزان **وقوله** وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا **وقوله**
ما بين المشرق والمغرب قبلة **وقوله** لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك
وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل **هذا** مع انه صلى الله
عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته
حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن
شعبان من طريق ابن عباس **وقوله** في الحديث الآخر الذي يروى عن معاوية انه كان
يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم **وهذا** وان لم تصح الرواية
انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة
واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها
فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله
في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية **وقوله** ويكثر الهرج وهو القتل بها
وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما
لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة
اهلها عمره وهو رجل كما قال الله امي لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه صفته
ولا نشا بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها
قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت غاية
معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ
لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه **وهذا** الفن نقطة من بحر علمه صلى الله

عليه وسلم وكان يرسل إلى جبر المجير لشيء مما ذكرناه ولو وجد الكافر حيلة في دفع ما اقتضاه
في قولهم أساطير الأولين وإنما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذي يلحدون إليه
أعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فإن الذي نسبوا تعليمه
إليه إما سلمان أو العبد الرومي وسلمان إنما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن
وظهور ما لا ينعد من الآيات وأما الرومي فكان أسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله
عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة
وكلاهما أعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما أتى
به والإتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تأليفه ونظمه فكيف بأعجمي ألكن
نعم وقد كان سلمان أو بلعام الرومي أو يعيش أو جبر أو يسار على اختلافهم
في اسمه بين أظهرهم يكلمونهم مدى أعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل ما كان
يجيء به محمد عليه السلام وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو
حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده أن يجلس إلى هذا فيأخذ عنه أيضا ما
يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من أخبار
كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته إلى بلاد أهل الكتاب
فيقال إنه استمد منهم بل لم يزل بين أظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة أبنائهم
ثم لم يخرج عن بلادهم إلا في سفرة أو سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعلم
القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا
خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف إلى حبر أو قس أو منجم أو كاهن بل
لو كان هذا بعد كله لكان مجيء ما أتى به من معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا
لكل حجة ومجليا لكل أمر

فصل

ومن خصائصه عليه السلام وكراماته وباهر آياته أنباؤه مع الملائكة والجن
وإمداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من أصحابه لهم قال الله تعالى
وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية وقال إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني
معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الآيتين وقال
وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي
الفقيه بسماعي عليه ثنا أبو الليث السمرقندي ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي
ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع
زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في صورته له ست
مائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل وإسرافيل وغيرهما من الملائكة وما
شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الإسراء مشهور وقد رآهم
بحضرته جماعة من أصحابه في مواطن مختلفة فرأى أصحابه جبريل عليه السلام في صورة
رجل يسأله عن الإسلام والإيمان ورأى ابن عباس وأسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة
دحية ورأى سعد عن يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما ثياب
بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم
رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا
بيضا على خيل بلق بين السماء والأرض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة
تصافح عمران بن حصين وأرى النبي حمزة جبريل في الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى
عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر
ابن سعد أن مصعب بن عمير لما قتل يوم أحد أخذ الراية ملك على صورته فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم أنه
ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب أنه قال بينما

نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من أنت فقال أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فذكر أنه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وأن النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه وأعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال عليه السلام إن شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئا وهذا باب واسع

فصل

ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والأوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما ألفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله عنهما ثقات من أسلم منهم مثل ابن سلام وبني سعية وابن يامين ومخيريق وكعب وأشباههم ممن أسلم من علماء يهود وبحيرا ونسطور الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم

ومقوقس

ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن أخطب وأخوه وكعب بن أسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاء والأخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع أسماع يهود والنصارى بما ذكر أنه في كتبهم من صفته وصفة أصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم ألسنتهم ببيان أمره ودعوتهم إلى المباهلة على الكاذب فما منهم إلا من نفر عن معارضته وإبداء ما ألزمهم من كتبهم إظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان إظهاره أهون عليهم من بذل النفوس والأموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين إلى ما أنذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وأفعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة إلى ما ظهر على ألسنة الأصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور وإسلام من أسلم بسبب ذلك معلوم مذكور

فصل

ومن ذلك ما ظهر من الآيات عند مولده وما حكته أمه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا رأسه عندما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلا النور وقول الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم وما تعرفته به حليمة وزوجها ظئراه

من كنانته ودره ونبيه الله ولم يشاركها وخصب غنمها ونمو جديها فشبابه وحسن نباته وما
جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج إيوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية
وخمود نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد وأنه كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله
وهو صغير شبعوا ورووا فإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا ولم يرووا وكان
سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا
ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق
السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به
من ذلك وحماه حتى في ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة إذ أخذ إزاره ليجعله
على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط إلى الأرض حتى رد إزاره عليه فقال له عمه
ما بالك فقال إني نهيت عن التعري ومن ذلك إظلال الله له بالغمام في سفره
وفي رواية أن خديجة ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة
فأخبرها أنه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد
روي أن حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة
ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم نزل في بعض أسفاره تحت شجرة يابسة
فاعشوشب ما حولها وأينعت هي فأشرفت وتدلت عليه أغصانها بمحضر من رآه
وميل فيء الشجرة إليه في الخبر الآخر حتى أظلته وما ذكر من أنه كان لا ظل لشخصه
في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وأن الذباب كان لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك
تحبيب الخلوة إليه حتى أوحي إليه ثم إعلامه بموته ودنو أجله وأن قبره في
المدينة وفي بيته وأن بين منبره وبيته روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته
وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على
ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم

الذي سمعوه إذ شكوا عند الغسل في غسله وما روي من تعزية الخضر والملائكة أهل
بيته عند موته إلى ما ظهر على أصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل

قال القاضي رضي الله عنه قد أتينا في هذا الباب على نكت
من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية
وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الأحاديث الطوال على عين الغرض وفص
المقصد ومن كثير الأحاديث وغريبها على ما صح واشتهر إلا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير
الأئمة وحذفنا الإسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب
لو تقصي أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا أظهر من سائر
معجزات الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا
وعند نبينا مثلها أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فإن أردته فتأمل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الأنبياء تقف على ذلك إن شاء الله وأما
كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه عند بعض أئمة المحققين
سورة إنا أعطيناك الكوثر أو آية في قدرها وذهب بعضهم إلى
أن كل آية منه كيف كانت معجزة وزاد آخرون أن كل جملة منتظمة منه معجزة وإن كانت
من كلمة أو كلمتين والحق ما ذكرناه أولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله فهو أقل ما تحداهم
به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه وإذا كان هذا ففيه من الكلمات
نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات إنا أعطيناك
الكوثر عشر كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد إنا أعطيناك الكوثر أزيد من سبعة
آلاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم إعجازه كما تقدم بوجهين

بهم بلاغتهم وكثير بلاغتهم فصارت في كل جزء من هذه القطعة معجز بان وتضاعف العدد من هذا
الوجه ثم فيه إعجاز آخر من الإخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة
الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف
العدد كرة أخرى ثم وجوه الإعجاز الأخر التي ذكرناها توجب تضعيف هذا
في حق العرب أو المتكلم بالخبر العربي معجز للنور النحوي الغض بما فيه ثم
الأحاديث الواردة والأخبار الظاهرة عنه عليه السلام في معنى الأبواب وعما دل
على أمره مما أشرنا إلى جمل منها تبلغ نحوا من هذا

الوجه الثاني

ووضوح معجزة النبي صلى الله عليه وسلم أن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم
وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم أهله السحر
بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم
ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكذلك زمن عيسى أغنى ما كان الطب وأوفر ما
كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه وأتاهم ما لم يحتسبوه من إحياء الموتى وإبراء
الأكمه والأبرص دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الأنبياء ثم
إن الله بعث محمدا وجملة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة والشعر والخبر
والكهانة فأنزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول من الفصاحة
والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب
الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه ومن
الأخبار عن الكوائن والحوادث والأسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت
ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وإن كان أعدى العدو فأبطل الكهانة التي
تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم
وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية

ما نبه من نبه في هذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطنا منها وبينا المعجزة فيها
ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه إلى الفصول الأخر التي ذكرناها
في معجزات القرآن ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك
على من نظر فيه وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به من الغيوب على هذه السبيل
فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر فيتجدد الإيمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس
أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلى علم اليقين وإن كان كل عندها حقا وسائر
معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا لا تبيد ولا
تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا أشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا
القاضي الشهيد أبو علي ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم
قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما
مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن
أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح إن شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث
وظهور معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما لا
يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه فإن غيره من معجزات الرسل قد رام المعاندون
لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه
هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل
فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب
أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الأول أخلص وأرضى وفي

ووجهٌ ثالثٌ ويقضي عنه البعض بعض ما الثاني من التأويل
على مذهب من قال بالمنع فيه وإن المعارضة كانت في عقود التبليغ من مواضعها أو على أحد
من مشى امثل النسخة من أن لا تبلّغ شيئاً من جنس عقود ربهم وأكثر لم تكن ذلك قبل أن
يكون بعد أن الله لم يعذرهم وأن يعذرهم عليها وبيّن الحدّ مستنّ فيه وتبرّو عليهما
جميعاً فمنه أن العرب أن لا تبلغ شيئاً مثوبة عقود ربهم لوما مثوم من جنس عقود ربهم وطاعتهم
بالابتلاء والخلاء والإسناد ودرأه أو تغيير الحال وسلب النفوس وذهاب الأموال والتفريج
والتوبيخ والتجهيل والتقدير والوعيد ليس لأنه للعجز عن إبلاغ مثله والنكول عن
معارضته ولأنهم منعوا عن شيء من جنس عقود ربهم والذي هذا
مذهب الإمام أبو المعالي الجويني وغيره قال وهذا أبلغ عندنا في
خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد
يسبق إلى قلب الناظر بدءاً أن ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة في ذلك
الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما التحدي للعقلاء مدة من
السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا فلم يبق مع توفر الدواعي
على المعارضة ثم عجزهم عنها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال النبي آيتي أن
يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك
وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله التوفيق
وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر آيات
الأنبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور
عقولها وأنهم أدركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم
وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من
الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوّز عليهم فرعون أنه ربهم وجوّز عليهم السامري

خبر

ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم على صلبه وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البيّنة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم
مما لا يشكّون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا
على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب على
جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى ومنهم
من آمن بالله وحده من قبل الرسول بدليل عقله وصفاء لبّه ولما جاءهم الرسول
بكتاب الله فهموا حكمته وتبيّنوا بفضل إدراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا
به وازدادوا كل يوم إيماناً ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم
وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له
رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا
وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها وبالله التوفيق

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا
نبيه ورسوله الكريم

القسم الثاني فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام

قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله

وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب. ومجموعها في وجوب
تصديقه واتباعه في سنته وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم
وزيارة قبره

الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته

اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال
الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية فالايمان
بالنبي محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال
الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا
ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه نا الامام ابو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا ابن
عمرويه نا ابن سفيان نا ابو الحسين نا امية بن بسطام نا يزيد بن زريع نا روح عن العلاء بن عبد

الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه

والايمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه في جميع ما جاء به وما
قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به
بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث
نفسه من رواية عبد الله بن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم
ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد
قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه
الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي لكاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم
وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم
الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ايمان ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل من
النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالائمة
وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل
للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم
عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث

حديث جبريل عليه السلام الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين هذين
إحداهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله عليه
السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن
بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية
أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في
عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال
فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء
عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها وهذا هو
الصحيح وهذا نبذ يفضي إلى متسع من الكلام في الإسلام والإيمان وأبوابهما وفي الزيادة فيهما
والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وإنما يرجع إلى ما زاد عليه من عمل أو
يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح
معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التأليف وفيما ذكرنا غنية
فيما قصدنا إن شاء الله

فصل

وأما وجوب طاعته فإذا وجب الإيمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت
طاعته لأن ذلك مما أتى به قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله
وقال قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقال وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
وقال وإن تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية وقال
وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته
بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وأوجب امتثال أمره

واجتناب نهيه قال المفسرون وأئمة العلماء طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به
وقالوا ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه وقالوا من يطع الرسول في سننه
يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الإسلام فقال وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال السمرقندي يقال أطيعوا الله في فرائضه والرسول في
سننه وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم وقيل أطيعوا الله بالشهادة
له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن علي بن خلف ثنا محمد بن أحمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان
أنا عبد الله أنا يونس عن الزهري أنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري
فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته
فطاعته امتثال لما أمر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم
يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث
لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر
فأتوا منه ما استطعتم وفي حديث أبي هريرة عنه عليه السلام كل أمتي يدخلون الجنة
إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول الله قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى وفي
الحديث عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني
رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا
فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي
الحديث الآخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي
دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة

والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل

وأما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى
يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله ويسلموا تسليما اي ينقادوا لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا
انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر
قال محمد بن علي الترمذي الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته بقول او فعل وقال
غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله
تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فأمرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه وآثروه على اهوائهم وما
تجنح اليه نفوسهم وان صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه
وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الآية وروي ان الآية نزلت في كعب بن الاشرف
وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية وقال الزجاج
معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول
طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما قال القائل

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ويقال

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وتكون
بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان
من صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غيره بحول الله حدثنا
ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حاتم بن محمد قال ابو حفص الجهني ابو بكر
الآجري ابراهيم بن موسى الجوزي داود بن رشيد الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن
معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في
موعظة النبي صلى الله عليه وسلم لقد قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث ابي رافع عنه
عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث عائشة صنع رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله
ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية
وروي عنه عليه السلام انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن
استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة
امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن
قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الآية وقال عليه السلام من اقتدى
بي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل

ما آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة وعن الحسن بن أبي الحسن قال عنه عليه السلام عمل
قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال عليه السلام إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة
تمسك بها وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد أمتي
له أجر مائة شهيد وقال عليه السلام إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة
وإن أمتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال الذي
أنا عليه اليوم وأصحابي وعن أنس قال عليه السلام من أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني
كان معي وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من أحيا
سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا
ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص من أوزارهم
شيئا

فصل

وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه فحدثنا
الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن الفقيه سماعا عليه قال نا أبو عمر الحافظ قال نا سعيد
بن نصر قال نا قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا نا محمد بن وضاح نا يحيى بن يحيى نا مالك عن ابن
شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن إنا نجد صلاة
الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا ولا
نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله
عليه وسلم سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله
ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها
منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن أبي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب
بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب

بتعليم

بتعليم السنة والفرائض واللحن أي اللغة وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن
فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة ركعتين وقال أصنع كما
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى أني أنهى
الناس عنه وتفعله قال لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه
ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وعن ابن عمر صلاة
السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما
على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية الله ربه
فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر
جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة
فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في سبيل
وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا
أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر بحال
بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت به السنة فكتب
إليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله وعن
عطاء في قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول أي إلى كتاب الله وسنة
رسوله وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله إلا اتباعها وقال عمر ونظر إلى
الحجر الأسود إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك
ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا أدري إلا أني رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال سهل التستري أصول مذهبنا ثلاثة
الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية

في جميع الأعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي أن أحمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت في تلك الليلة قائلا يقول لي يا أحمد أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما يقتدى بك قلت من أنت قال جبريل

فصل

ومخالفة أمره وتبديل سنته صلى الله عليه وسلم ضلال وبدعة متوعد عليها من الله بالخذلان **قال الله تعالى** فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم **وقال** ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية **حدثنا** أبو محمد عبد الله بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو الحسن بن مسرور نا الدباغ نا أحمد بن أبي سليمان نا سحنون بن سعيد نا ابن القاسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة وذكر الحديث في صفة أمته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم ألا هلم فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا **وروى** أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني **وقال** من أدخل في أمرنا ما ليس منه فهو رد **وروى** ابن أبي رافع عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث المقدام ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله **وقال** عليه السلام وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا أو قال ضلالا أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى غير نبيهم أو كتاب غير كتابهم فنزلت أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب الآية **وقال** عليه السلام هلك المتنطعون **وقال** أبو بكر الصديق رضي الله عنه

لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ

الباب الثاني
في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله **حدثنا** أبو علي الغساني الحافظ فيما أجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال نا سراج بن عبد الله القاضي قال نا أبو محمد الأصيلي نا المروزي نا أبو عبد الله محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا يعقوب بن إبراهيم نا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين **وعن** أبي هريرة نحوه **وعن** أنس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار **وعن** عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر **قال** سهل من لم ير ولاية الرسول عليه السلام في جميع الأحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه الحديث

فصل
في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم

حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتي عليه نا أبو القاسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا أبو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا عبدان نا أبي عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أنس أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك أبايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله إني أحبك قال المرء مع من أحب وروى هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وأبو موسى وأنس وعن أبي ذر بمعناه وعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد حسن وحسين فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي أنت وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية وفي حديث أنس من أحبني كان معي في الجنة

فصل في ما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له

حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن سفيان نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني بأهله وماله ومثله عن أبي ذر وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قال للعباس أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن إسحاق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن زيد بن أسلم خرج عمر ليلة يحرس الناس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الأبرار ... صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكا بالأسحار ... يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول وروي أن عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبه محمدا وحزبه وروي أن امرأة قالت لعائشة اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته

لما فبكيته حتى مات. ومما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك الله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا تضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. وعن ابن عباس كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ولرسوله. ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

مكانك

فصل في علامة محبته عليه السلام

اعلم أن من أحب شيئا آثره وآثر موافقته وإلا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا. فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وإيثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وإسخاط العباد في رضى الله تعالى. حدثنا القاضي أبو علي الحافظ ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة. فمن اتصف بهذه الصفة كان كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه

الأمور كان ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها وقد قال عليه السلام للذي حد في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله.

ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له. ومنها كثرة شوقه إلى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه. وفي حديث الأشعريين عند قدومهم المدينة أنهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الأحبه محمدا وصحبه. وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان. ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره وإظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه. قال إسحاق التجيبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا إليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا. ومنها محبته لمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار وعداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيئا أحب من يحبه. وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما. وفي رواية في الحسن فأحب من يحبه. وقال من أحبهما فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضهما فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله. وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه. وقال في فاطمة إنها بضعة مني يغضبني ما أغضبها. وقال لعائشة في أسامة بن زيد أحبيه فإني أحبه. وقال آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغضهم. وفي حديث ابن عمر من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم. فبالحقيقة من أحب شيئا أحب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس. وقد قال أنس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت أحب الدباء من يومئذ

ومنها أن الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر أتوا سلمى وسألوها أن تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من أبغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله كل أمر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء أصحابه عليه السلام قد قتلوا أحباءهم وقاتلوا آباءهم وأبناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن أبي لو شئت لأتيتك برأسه يعني أباه ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن ومن حبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ألا يدخر منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل أحد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي عليه السلام شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام إن الفقر أسرع إلى من يحبني منكم من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله ابن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك ثلاث مرات قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اختلف

اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي عليه السلام وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع في الحقيقة إلى اختلاف مقال ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت إلى قوله قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال بعضهم إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام النفوس أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه عليه السلام فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ويتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط

مستقيم فأي احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المومنين واي افضال اعم منفعة
واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية
وداعيهم الى الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد
لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه عليه السلام
مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه
آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او
مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذي بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد
من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن
سيرته او حاكم لما يوثر من قوام طريقته او قاص بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد
قال علي رضي الله عنه في صفته عليه السلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه

فصل في وجوب مناصحته عليه السلام

قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا
مخلصين مسلمين في السر والعلانية اخبرنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه
نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد المومن نا ابو بكر التمار نا ابو داود نا
احمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا
رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم
الله النصيحة لله ولرسوله وائمة المسلمين واجبة قال الامام ابو سليمان البستي

النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها
ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن
ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملاءمة ماخوذ من النصاح وهو
الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله صحة الاعتقاد
له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من
مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين
تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين
وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه
قاله ابو سليمان وقال ابو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته
بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال
ابو ابراهيم اسحاق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به
والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله
واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره والنصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته
ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه
والسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته
فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته
ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى
ما ذكرناه تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى

النصيحة

ذكر الإمام أبو القاسم القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار
رئي في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوما فأشرفت
على جنودي فأعجبتني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعنته ونصرته
فشكر الله لي ذلك وغفر لي. **وأما** النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم
فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من
أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم عليهم. **والنصح**
لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل
وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم
وجلب المنافع إليهم.

الباب الثالث
في تعظيم أمره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه **وقال سبحانه** يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله
وقال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيء الآيتان **وقال**
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فأوجب تعالى تعزيره وتوقيره وألزم
إكرامه وتعظيمه. **قال ابن عباس** تعزروه تجلوه **وقال المبرد** تعزروه تبالغوا
في تعظيمه **وقال الأخفش** تنصروه **وقال الطبري** تعينوه **وقرئ** تعززوه بزايين من
العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الأدب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره
وهو اختيار ثعلب **قال** سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل أن يقول وإذا قال فأنصتوا واستمعوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء أمر قبل قضائه فيه وأن يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال أو غيره
من أمر دينهم إلا بأمره ولا يسبقونه به وإلى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري

والثوري ثم وعظهم وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله إن الله سميع عليم **قال**
الماوردي اتقوه يعني في التقدم **وقال** السلمي اتقوا الله في إهمال حقه وتضييع حرمته
إنه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما
يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته **وقيل** كما ينادي بعضهم بعضا باسمه **قال أبو محمد مكي**
أي لا تسابقوه بالكلام ولا تغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن
عظموه ووقروه ونادوه بأشرف ما يحب أن ينادى به يا رسول الله يا نبي الله **ومثل** قوله
في الآية الأخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على أحد التأويلين **قال**
غيره لا تخاطبوه إلا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط أعمالهم إن هم فعلوا ذلك
وحذرهم منه **قيل** نزلت الآية في وفد بني تميم **وقيل** في غيرهم أتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج إلينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بأن أكثرهم
لا يعقلون **وقيل** نزلت الآية الأولى في محاورة كانت بين أبي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت أصواتهما **وقيل** نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في أذنيه صمم فكان يرفع صوته
فلما نزلت هذه الآية أقام في منزله وخشي أن يكون حبط عمله ثم أتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت أن أكون هلكت نهانا الله أن نجهر بالقول وأنا امرؤ
جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل
شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة **وروي** أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله
يا رسول الله لا أكلمك بعدها إلا كأخي السرار وإن عمر كان إذا حدثه حدثه كأخي
السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه فأنزل
الله فيهم إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
لهم مغفرة وأجر عظيم **وقيل** نزلت إن الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه

باسمه. وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري أيا محمد أيا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فإنك قد نهيت عن رفع الصوت. وقال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا الآية قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الأنصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لأن معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها إذ مقتضاها كأنهم لا يرعونه إلا برعيه لهم بل حقه أن يرعى على كل حال. وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة. وقيل غير هذا.

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره وإجلاله

حدثنا القاضي أبو علي الصدفي وأبو بكر الأسدي بسماعي عليهما في آخرين قالوا نا أبو العباس بن عمر نا أبو أحمد الجلودي نا أبو إسحاق بن سفيان نا مسلم نا محمد بن مثنى وأبو معن الرقاشي وإسحاق بن منصور قالوا نا الضحاك بن مخلد نا حيوة بن شريح نا يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاصي فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو رضي الله عنه قال وما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه. وروى الترمذي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما. وروى أسامة بن شريك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير. وفي حديث صفته إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى وأنه لا يتوضأ

إلا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فلما رجع إلى قريش قال يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه. وفي رواية إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم محمدا أصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه أبدا. وعن أنس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل. ومن هذا لما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إليهم في القضية أبى وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي حديث طلحة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فأعرض عنه إذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه. وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء أرعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما. وفي حديث المغيرة كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالأظافير. وقال البراء بن عازب لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأمر فأؤخره سنين من هيبته.

فصل

واعلم أن حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم أهل بيته وصحابته. قال أبو إبراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به. قال

قال أبو الفضل رضي الله عنه ومن كان يتبع السلف الصالح والأيمة الماضين رضي
الله عنهم **حدثنا** القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأشعري وأبو القاسم
أحمد بن بقي وغير واحد فيما أجازونيه قالوا أنا أبو العباس أحمد بن عمر بن دلهاث قال أنا أبو
الحسن علي بن فهر نا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج نا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن إسحاق
بن أبي إسرائيل نا ابن حميد قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب
قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما فقال إن الذين يغضون
أصواتهم عند رسول الله الآية وذم قوما فقال إن الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وإن حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو
أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة
أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله
قال الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك الآية **وقال مالك** وقد سئل عن أيوب السختياني
ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان
إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي
صلى الله عليه وسلم كتبت عنه **وقال** مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو
رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله
عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم
فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما
مصليا وإما صامتا وإما يقرأ القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين

يخشون

يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى
لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد
كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في
عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله
عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين
المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه
وروي عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل **ولما** كثر على مالك
الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء **وكان** عبد الرحمن بن مهدي إذا
قرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسين بن محمد الحافظ نا أبو الفضل بن خيرون نا أبو بكر البرقاني وغيره
نا أبو الحسن الدارقطني نا علي بن مبشر نا أحمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون نا المسعودي
عن مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن شاء الله أو فوق ذا أو ما
دون ذا أو ما هو قريب من ذا **وفي** رواية فتربد وجهه **وفي** رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت
أوداجه **وقال** إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي
حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ حديث رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأنا قائم. **وقال مالك** جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع **وروي** عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع **وقال أبو مصعب** كان مالك بن أنس لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو على وضوء إجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد **قال** مصعب بن عبد الله كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث **قال** مصعب فسئل عن ذلك فقال إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** مطرف كان إذا أتى الناس مالكا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل فإن قالوا المسائل خرج إليهم وإن قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابن أبي أويس فقيل لمالك في ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث به إلا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل وقال أحب أن أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقال** ضرار بن مرة كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة **وكان** الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم **وكان قتادة** لا يحدث إلا على طهارة ولا يقرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء **قال** عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس قلت له يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا فقال نعم إنما صبرت إجلالا لحديث

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال** ابن مهدي مشيت يوما مع مالك إلى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني أجل من أن تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي **وسأله** جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له إنه قاض فقال القاضي أحق من أدب **وذكر** أن هشام بن الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم أشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا **قال** عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران وكان قتادة يستحب أن لا تقرأ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم إلا على وضوء ولا يحدث إلا على طهارة

فصل

ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وأمهات المؤمنين أزواجه كما حض عليه عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم **قال الله تعالى** إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا **وقال تعالى** وأزواجه أمهاتهم

أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أحمد العدل من كتابه وكتبت من أصله أنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني أم القاسم بنت الشيخ أبي بكر الخفاف حدثني أبي نا حاتم هو ابن عقيل نا يحيى هو ابن إسماعيل نا يحيى الحماني نا وكيع عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم الله أهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من أهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس **وقال** عليه السلام إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما **وقال** عليه السلام معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب **قال** بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم وإذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه **وعن** عمر بن أبي سلمة لما نزلت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت الآية وذلك في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره

ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن أبي وقاص لما
نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم
هؤلاء أهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق وقال للعباس
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن آذى عمي فقد آذاني
وإنما عم الرجل صنو أبيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته
وقال هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم فأمنت أسكفة
الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان يأخذ أسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم إني
أحبهما فأحبهما وقال أبو بكر ارقبوا محمدا في أهل بيته وقال أيضا والذي نفسي
بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي وقال صلى الله عليه
وسلم أحب الله من أحب حسنا وحسينا وقال صلى الله عليه وسلم من أحبني وأحب
هذين وأشار إلى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال صلى الله
عليه وسلم من أهان قريشا أهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال
عليه السلام لأم سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث رأيت أبا بكر رضي الله عنه
وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروى
عن عبد الله بن حسن بن حسن قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي إذا كانت لك
حاجة فأرسل إلي أو اكتب فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي وعن الشعبي قال صلى
زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال
زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا عليه السلام ورأى ابن عمر محمد
ابن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر

بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه وقال الأوزاعي دخلت
بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها
يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى
أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها ولما فرض عمر بن
الخطاب رحمه الله لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمسمائة قال
عبد الله لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له إن زيدا كان أحب إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حبي وبلغ معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل
عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه وأقطعه المرغاب لشبهه صورة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن مالكا لما ضرب جعفر بن سليمان ونال منه ما نال
وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك
فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل بعض آله النار
بسببي وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي
إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو بكر بن عياش لو
أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن
أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما وقيل لابن عباس ماتت فلانة
لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد هذه الساعة فقال أليس قد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ويقولان
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا

مما يتلو ذلك

فصل

ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن
الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار
المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم في
ما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويل ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم
أهل ذلك ولا يذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم
ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول
الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة وقال تعالى والسابقون الأولون
من المهاجرين والأنصار الآية وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة
وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي أبو علي
ثنا أبو الحسين وأبو الفضل ثنا أبو يعلى ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن
الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال أصحابي كالنجوم
بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كالملح
في الطعام لا يصلح الطعام إلا به وقال الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم
فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا
ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فعليه لعنة الله و
الملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير وقال

صلى

صلى الله عليه وسلم من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني وقال مالك بن أنس
وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا
من بعدهم الآية وقال من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال
عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قال أيوب السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن
أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء
على أصحاب محمد فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي
حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا
له ذلك أيها الناس إني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
بن عوف فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس إن الله غفر لأهل بدر والحديبية أيها الناس
احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة لا توهب
في القيامة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب
وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه
على وحي الله وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض
عثمان فأبغضه الله وقال عليه السلام في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم
وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه
الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه
وعنه عليه السلام من حفظني في أصحابي كنت له حافظا يوم القيامة وقال
من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني إلا من
بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به

وجعله رحمة للعالمين يخرج بحبوة؟ اسيل الى الشفيع قبل عفو الله ويشفع كل من وجب لهم وبذلك
اسم الله واسم النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم **وروى** عن
كعب الأحبار أن لكل أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم له شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة
ابن نوفل أن يشفع له يوم القيامة **قال** سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر
أصحابه ولم يعز أوامره

فصل

ومن إعظامه وإكباره إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة
ومعاهده وما لمسه عليه السلام أو عرف به **وروي** عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي
محذورة قصة في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن
بالذي أحلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده **وكانت** في قلنسوة خالد بن
الوليد شعرات من شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة
أنكر عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل
لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين **ورئي**
ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه **ولهذا**
كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة **وروي** أنه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال
له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب **وقد** حكى أبو عبد الرحمن السلمي
عن أحمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة
منذ بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده **وقد أفتى** مالك فيمن قال تربة
المدينة ردية بضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه
تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة **وفي الصحيح** أنه قال
عليه السلام في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة

وانابه

وأنه بريء من أحد يفعل منه شيئا ولا عدل **وحكي** أن جهجاها الغفاري أخذ قضيب النبي صلى الله
عليه وسلم من يد عثمان وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول **وقال** عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده
من النار **وحدثت** أن أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا
منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين أنه لما أشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الأوهام

وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرحال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه
راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي **قال القاضي رحمه الله**
وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها
الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد
البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات ومساجد
وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين فاض عبابها و
مواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها
وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الأنام وخص بالآيات

عندي لأجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات

التنزيل

وعلى عمر ان ملأت محاجنه من قبلكم الجدران وابن عمر صاحبا
لا عيبن مصون شيبه بينهما من كان للتفضيل والى شعبا
لو ان العوالم وما على زينها ابدا ولو بحثا على انو جدنا
لا كن سامر من جعل تجنيه لغير بلطه الدار والحجرا
اكمي من البشر الفتق نصره تعضد بالا طال ولن يكرا
وتحصن واكثر الصلوات وتوامي التسليم وابن كثرا

الباب الرابع
في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية قال ابن عباس معناه إن الله وملائكته يباركون على النبي وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء قال القاضي أبو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل أنهما بمعنيين وأما التسليم الذي أمر الله تعالى به عباده فقال القاضي أبو بكر بن بكير نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة أوجه أحدها السلامة لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني أي السلام

على حفظه ورعايته متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل

اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب وأجمعوا عليه وحكى أبو جعفر الطبري أن محمل الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله قال القاضي أبو الحسن بن القصار المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي أبو بكر بن بكير افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي أبو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الإيمان لا يتعين في الصلاة وأن من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال أصحاب الشافعي الفرض منها الذي أمر الله به ورسوله عليه السلام هو في الصلاة وقالوا وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبة وأما في الصلاة فحكى الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما الإجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الأخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وإن صلى عليه قبل

ثم إنهم لم يحتجوا ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في إنكار هذه المسألة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد **وقال** أبو بكر بن المنذر يستحب أن لا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة في مذهب مالك وأهل المدينة وسفيان الثوري وأهل الكوفة من أصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل أهل العلم **وحكي** عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة وأن تاركها في التشهد مسيء **وشذ** الشافعي فأوجب على تاركها في الصلاة الإعادة **وأوجب** إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان **وحكى** أبو محمد بن أبي زيد عن محمد بن المواز أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة **قال** أبو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة **وقاله** محمد بن عبد الحكم وغيره **وحكى** ابن القصار وعبد الوهاب أن محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي **وقد** حكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال الوجوب والسنة والندب **وقد** خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسألة **قال** الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي ولا أعلم له فيها قدوة **والدليل** على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي وإجماعهم عليه **وقد** شنع الناس عليه المسألة جدا **وهذا** تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم **وكذلك** كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كأبي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم **وقد** قال ابن عباس وجابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن **ونحوه** عن أبي سعيد **وقال** ابن عمر كان أبو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب **وعلمه** أيضا على المنبر عمر بن الخطاب **وفي**

الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي **قال** ابن القصار معناه كاملة أو لمن لم يصل علي مرة في عمره **وضعف** أهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث **وفي** حديث أبي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه **قال الدارقطني** الصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أهل بيته لرأيت أنها لا تتم

فصل في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب

من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء **حدثنا** القاضي أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الإمام أبو القاسم البلخي قال ثنا أبو القاسم الخزاعي عن أبي الهيثم عن أبي عيسى الحافظ قال ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا حيوة بن شريح حدثني أبو هانئ الخولاني أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ثم ليدع بعد بما شاء **ويروى** من غير هذا السند بتمجيد الله وهو أصح **وعن** عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض ولا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن** علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد **وروي** أن الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم **وعن** ابن مسعود إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسأل فإنه أجدر أن ينجح **وعن** جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فإن احتاج إلى شرابه شربه أو الوضوء توضأ وإلا أهراقه

إلى السماء

وأن يجعلوه في أول الدعاء وأوسطه وآخره **وقال ابن عطاء** للدعاء أركان وأجنحة وأسباب
وأوقات فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه
نجح فأركانه حضور القلب والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه
عن الأسباب وأجنحته الصدق ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه
وسلم **وفي** الحديث الدعاء بين الصلاتين لا يرد **وفي** حديث آخر كل دعاء محجوب
دون السماء فإذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء **وفي** دعاء ابن عباس الذي رواه عنه
حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن
تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين آمين
ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره وسماع اسمه أو كتابته وعند الأذان
وقد قال عليه السلام رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي **وكره** ابن حبيب ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم عند الذبح **وكره** سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه
إلا على طريق الاحتساب وطلب الثواب **قال** أصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما
إلا الله الذبيحة والعطاس فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد
ذكر الله صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقال أشهب قال ولا ينبغي أن تجعل
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا **وروى** النسائي عن أوس بن أوس
عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة **ومن مواطن**
الصلاة عليه والسلام دخول المسجد **قال** أبو محمد بن شعبان وينبغي لمن دخل
المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويترحم عليه وعلى آله ويبارك عليه
وعلى آله ويسلم عليه تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وإذا
خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك **وقال** عمرو بن دينار في قوله فإذا
دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إن لم يكن في البيت أحد فقل السلام على النبي ورحمة الله

وبركاته

وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته ذكره
قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد **وقال** النخعي إذا لم يكن في المسجد أحد فقل
السلام على رسول الله وإذا لم يكن في البيت أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن علقمة إذا دخلت المسجد أقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله
وملائكته على محمد **ونحوه** عن كعب إذا دخل وإذا خرج ولم يذكر الصلاة **واحتج** ابن شعبان
لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعله إذا دخل المسجد **ومثله** عن أبي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة **وقد**
ذكرنا متن الحديث في آخر القسم وذكر اختلاف فيه العلماء **ومن مواطن الصلاة**
عليه أيضا الصلاة على الجنائز وقد ذكرنا في أمامة أنها من السنة **ومن مواطن**
الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى آله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الأول وأحدث عند ولاية
بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتب **وقال**
عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب
ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد
الصلاة **حدثنا** أبو القاسم خلف بن إبراهيم الفقيه الخطيب رحمه الله ونفعه
قال حدثتني كريمة بنت محمد قالت نا أبو الهيثم نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا أبو نعيم
نا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في
السماء والأرض **فهذا** آخر مواطن التسليم عليه وسنته أول التشهد **وقد**
روى مالك عن عمر أنه كان يقول ذلك إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم **واستحب** مالك

في المنصوص أن يعلم بسلام قبل السلام قال محمد بن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما
كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام عليكم واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح
في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن وقال مالك في المجموعة وأحب للمأموم إذا
سلم إمامه أن يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم

فصل

في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه نا أبو الأصبغ
نا أبو عبد الله بن عتاب نا أبو بكر بن واقد وغيره نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى نا مالك عن عبد
الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا
يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم
وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية مالك
عن أبي مسعود الأنصاري فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على
محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية
كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت
على إبراهيم إنك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل
محمد وفي رواية أبي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا
القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا نا أبو عبد
الله بن سعدون الفقيه قال نا أبو بكر المطوعي قال نا أبو عبد الله الحاكم عن يحيى بن أبي خازم
العلاف عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن
الحسين عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم
وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم
إنك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد
مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد
وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا
أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم
إنك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف
نصلي عليك فقال صلوا واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على
إبراهيم إنك حميد مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي
بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الأباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك
واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا لقابس آلاء الله
تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم وأبهج موضحات الأعلام ونائرات
الأحكام ومنيرات الإسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت
له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء الناس بناءه
وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي
المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه أيضا في الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات

الله اليك أجمعين والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير. وعن عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. وكان الحسن البصري يقول من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته وأصهاره وأنصاره وأشياعه ومحبيه وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين. وعن طاوس عن ابن عباس أنه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة والأولى كما آتيت إبراهيم وموسى. وعن وهيب ابن الورد أنه كان يقول في دعائه اللهم أعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه وأعط محمدا أفضل ما سألك له أحد من خلقك وأعط محمدا أفضل ما أنت مسؤول له إلى يوم القيامة. وعن ابن مسعود أنه كان يقول إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. ويؤتى في تطويل الصلاة وتكثير الثناء على أهل البيت وغيرهم كثير. وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وفي تشهد علي

السلام

السلام على نبي الله السلام على أنبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لأهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. جاء في سنن الحربي عن علي الدعاء للنبي بالمغفرة. وفي حديث الصلاة عند أفضل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الأحاديث المرفوعة المعروفة. وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإنما يدعى له بالصلاة والبركة ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة. وقد ذكر أبو محمد ابن أبي زيد في مختصره في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت على إبراهيم وآل إبراهيم ولم يأت مثله في حديث صحيح. وحجته قوله في السلام السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

فصل في فضل الصلاة على النبي والتسليم عليه

والدعاء له. حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتاب ابن القاضي يونس ابن مغيث ثنا أبو بكر بن معاوية القرشي ثنا سويد بن نصر ثنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة. وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات. وفي رواية وكتب له عشر حسنات. وعن أنس عنه عليه السلام أن جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات. ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت

حتى يرفع فقال إن جبريل أتاني فقال إن الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه
من رواية أبي هريرة ومالك بن أوس بن الحدثان وعبيد الله بن أبي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة
وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة وعن
أبي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة
صلت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر وعن أبي بن كعب كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة
تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك
فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال النصف قال
ما شئت وإن زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال يا رسول الله أجعل
صلاتي كلها لك قال إذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك وعن أبي طلحة دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل
آنفا فأتاني ببشارة من ربي إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك
إلا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة
وعن سعد بن أبي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له وروي
ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة وفي بعض
الآثار ليردن علي أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي وفي حديث إن أنجاكم يوم القيامة

من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر الصديق الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب

فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإثمه

حدثنا الفقيه القاضي أبو علي رحمه الله ثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين
الصيرفي قالا ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا
ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ
قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن وأظنه
قال أو أحدهما وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين
ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال إن جبريل أتاني
فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت
آمين وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما
فمات مثله وعن علي بن أبي طالب عنه عليه السلام أنه قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم
يصل علي وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت
عنده فلم يصل علي أخطئ به طريق الجنة وعن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال إن البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن أبي هريرة قال
أبو القاسم صلى الله عليه وسلم أيما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله ويصلوا
على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وعن
أبي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه السلام من الجفاء
أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم
تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة وعن

في تعبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب **وحكى** أبو عيسى الترمذي عن بعض
أهل العلم قال إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس

فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه أو سلم من الأنام

حدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي نا الحسين بن محمد نا أبو عمر الحافظ نا أبو محمد
المؤمن نا أبو بكر بن داسة نا أبو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد
ابن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي
إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام **وذكر** أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته
وعن ابن مسعود إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام **ونحوه**
عن أبي هريرة **وعن ابن عمر** أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فإنه يؤتى به منكم في كل
جمعة **وفي** رواية فإن أحدا لا يصلي علي إلا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها **وعن**
الحسن عنه عليه السلام حيثما كنتم فصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني **وعن ابن عباس**
ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه إلا بلغه **وذكر**
بعضهم أن العبد إذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه **وعن** الحسن بن علي
قال إذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم **وفي** تتخذوا
حديث أوس أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي **وعن سليمان**
ابن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك
فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم **وعن ابن شهاب** بلغنا أن

يقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا علي من الصلاة في الليلة الزهراء واليوم الأزهر فإنهما
يؤديان عنكم وإن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وما من مسلم يصلي علي إلا حملها ملك حتى يؤديها
إلي ويسميه حتى إنه ليقول إن فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الأنبياء عليهم السلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه عامة أهل العلم
متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم **وروي** عن ابن عباس أنه لا تجوز
الصلاة على غير النبي **وروي** عنه لا تنبغي الصلاة على أحد إلا النبيين **وقال** سفيان يكره
أن يصلى على غير نبي **ووجدت** بخط بعض شيوخي مذهب مالك أنه لا يجوز أن يصلى
على أحد من الأنبياء سوى محمد عليه السلام **وهذا** غير معروف من مذهبه **وقد قال**
مالك في المبسوطة ليحيى بن إسحاق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما
أمرنا به **وقال** يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم
واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي الصلاة عليه **وفيه** وعلى أزواجه وعلى
آله **وقد** وجدت معلقا عن أبي عمران الفاسي روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير
النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى **وقد** روى عبد الرزاق
عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم
كما بعثني **والأسانيد** عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك
على الإطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح أو إجماع **وقد** قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته
الآية **وقال** خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية **وقال** أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وكان إذا أتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان **وفي** حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه

وذريته وفي أخرى وعلى آل محمد، قيل أتباعه، وقيل أمته، وقيل آل بيته، وقيل الأتباع والرهط والعشيرة
وقيل آل الرجل ولده، وقيل قومه، وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة. وفي رواية أنس سئل
النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد؟ قال: كل تقي. ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد
نفسه، فإنه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك
على آل محمد، يريد نفسه، لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل، لأن الفرض الذي أمر الله به هو
الصلاة على محمد نفسه، وهذا مثل قوله عليه السلام: لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود، يريد
من مزامير داود. وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي وعلى أبي بكر وعمر، ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى
ابن يحيى الأندلسي، والصحيح من رواية غيره: ويدعو لأبي بكر وعمر. وروى ابن وهب عن أنس بن
مالك: كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول: اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار الذين
يقومون بالليل ويصومون بالنهار. قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه:
والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله، وروي عن ابن عباس
واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم، بل هو شيء
يختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيرا، كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس
والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره، كذلك يجب تخصيص النبي عليه السلام وسائر الأنبياء بالصلاة
والتسليم ولا يشارك فيه سواهم، كما أمر الله تعالى به بقوله: صلوا عليه وسلموا تسليما
ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران والرضى، كما قال تعالى: يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا
الذين سبقونا بالإيمان، وقال تعالى: والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه
وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول، كما قال أبو عمران، وإنما أحدثه الرافضة والمتشيعة
في بعض الأئمة، فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك. و
أيضا فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك. وذكر الصلاة على

الآل والأزواج مع النبي عليه السلام بحكم التبع والإضافة إليه لا على التخصيص. قالوا: وصلاة النبي على من
صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة، ليس فيها معنى التعظيم والتوقير. قالوا: وقد قال تعالى: لا
تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا، فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض. وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الإسفراييني من شيوخنا، وبه قال أبو عمر بن عبد البر.

فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو

وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها. روي
عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: من زار قبري وجبت له شفاعتي. حدثنا
القاضي أبو علي قال: نا أبو الفضل بن خيرون، نا الحسين بن جعفر، نا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني
نا القاضي المحاملي، نا محمد بن عبد الرزاق، نا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن
ابن عمر، فذكره. وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من زارني في المدينة
محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة. وفي حديث آخر: من زارني بعد موتي
فكأنما زارني في حياتي. وكره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم. وقد
اختلف في معنى ذلك، فقيل: كراهية الاسم لما ورد من قوله عليه السلام: لعن الله زوارات القبور
وهذا يرده قوله: نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، ولا تقولوا هجرا، وقوله: من زار قبري. فقد
أطلق اسم الزيارة. وقيل: لأن ذلك لما قيل: إن الزائر أفضل من المزور، وهذا أيضا ليس بشيء، إذ ليس كل
زائر بهذه الصفة، وليس عموما. وقد ورد في حديث أهل الجنة زيارتهم لربهم، ولم يمنع هذا
اللفظ في حقه تعالى. وقال أبو عمران: إنما كره مالك أن يقال: طواف الزيارة، وزرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم، لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض، وكره تسوية النبي صلى الله عليه
وسلم مع الناس بهذا اللفظ، وأحب أن يخص بأن يقال: سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم. وأيضا
فإن الزيارة مباحة بين الناس، وواجب شد المطي إلى قبره صلى الله عليه وسلم، يريد بالوجوب

مثلا وجوه نور ورغب وتاكيد **وروي** عن ابن معه وكره مالك لاضافته الى قبر النبي صلى
الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا
تجعل قبري وثنا يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ
الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم **قال اسحاق**
ابن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه
ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن
عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله **وقال ابن ابي فديك** سمعت
بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان
الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله وسلم عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة
ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة **وعن يزيد بن ابي سعيد**
المهري قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة
سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام **قال** غيره وكان يبرد اليه
البريد من الشام **قال** بعضهم رايت انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف
فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي ثم انصرف **قال مالك** في رواية
ابن وهب اذا سلم على النبي ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس
القبر بيده **وقال في المبسوط** لا ارى ان يقف عند قبر النبي يدعو ولكن يسلم ويمضي
قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على راسه **وقال نافع** كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة
او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف **ورئي**
واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه **وعن**

ابن قسيط والقعنبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا برمانة المنبر
التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون **وفي الموطا** من رواية يحيى بن يحيى
الليثي انه كان يقف على قبر النبي فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر **وعند ابن القاسم**
والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر **قال مالك** في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته **وقال في المبسوط** ويسلم على ابي بكر وعمر **قال القاضي**
ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر
كما في حديث ابن عمر من الخلاف **وقال ابن حبيب** ويقول اذا دخل مسجد الرسول باسم الله
وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتساله تمام ما
خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزاتاك وفي الروضة افضل
وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة
ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما
واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء وقبور
الشهداء **قال مالك** في كتاب محمد ويسلم على النبي اذا دخل وخرج يعني في المدينة وفيما
بين ذلك **قال محمد** واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافرا
وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرجت فصل على النبي عليه السلام وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك **وفي**
رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من فضلك **وفي**
اخرى اللهم احفظني من الشيطان **وعن محمد بن سيرين** كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد

ابن

صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله بسم الله دخلنا وبسم الله
خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل
هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية
بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة اذا دخل
احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في
المبسوط وليس بلازم من دخل المسجد وخرج من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء
وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه
وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه
يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين او اكثر عند
القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه
واسع ولا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم
كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم ورايت
اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا قال وذلك رايي قال
الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها
لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تتخذوا قبري عيدا ومن كتاب
احمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي
العتبية يبدا بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب مواضع التنفل
فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف

والتنفل

والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت

فصل فيما لزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة

قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم سئل اي المساجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر
ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه مسجد قباء حدثنا هشام
ابن احمد الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمري حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن
حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي
هذا والمسجد الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل
المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال
مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف
قال لو كنت من اهل هذه البلد لادبتك ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي
لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه حكى ذلك كله القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى
الله عليه وسلم والعلماء متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي
اسماعيل قال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم
وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت وقد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا في
المسجد الحرام ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي هذا

من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب
مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث ان الصلاة في
مسجد الرسول افضل من الصلاة في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد
النبي افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد
الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه فتاتي فضيلة مسجد الرسول عليه السلام بتسعمائة وعلى غيره
بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك
واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن
حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على
ظاهره وان الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله
عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة
وروى قتادة مثله فياتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد
بمائة الف صلاة ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي ابو الوليد
الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة
وذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف
الى ان ذلك في النافلة ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد
ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على
حوضي وفي حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه معنيان
احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه روي ما يبينه بين حجرتي
ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري

ومنبري

ومنبري قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان
قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل انه منبره بعينه الذي كان في
الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده
لملازمة الاعمال الصالحة تورد الحوض وتوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله
روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان الدعاء والصلاة
فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تكون تلك
البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا
او شفيعا يوم القيامة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال
انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها الا
ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه
الله يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث من الامنين يوم القيامة
وعن ابن عمر عنه عليه السلام من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن
يموت بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله امنا قال
بعض المفسرين آمنا من النار وقيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا خارجا ولجأ اليه في الجاهلية
وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي
ان قوما اتوا سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه شيئا وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت
ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره
وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك
من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله

من الصحابة

عز وجل عند ذكرها وسؤال السماء الله له وكذلك عند البيت، وعنه عليه السلام من طرق خلف
المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين. **قرأت**
على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثنا أبو العباس العذري حدثنا أبو أسامة محمد بن
أحمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد سمعت أبا بكر
محمد بن إدريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار قال
سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا
الملتزم إلا استجيب له. **قال ابن عباس** وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي. **وقال عمرو بن دينار** وأنا
فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي. **وقال**
سفيان وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي.
وقال الحميدي وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان
إلا استجيب لي. **وقال محمد بن إدريس** وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي. **وقال أبو الحسن محمد بن الحسن** وأنا فما دعوت
الله في هذا الملتزم بشيء منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب لي. **قال أبو أسامة**
وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعته
من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة.
قال العذري وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعته من أبي أسامة
إلا استجيب لي. **قال أبو علي** وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة
استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها. **قال**
القاضي أبو الفضل رضي الله عنه ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا
الفصل وإن لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله فلم نحرص على تمام الفائدة والله الموفق للصواب.

بسم الله

القسم الثالث فيما يجب للنبي وما يستحيل أن يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه

قال الله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل الآية. **وقال**
ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام. **وقال**
وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق. **وقال** قل إنما
أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد الآية. فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم. قال
الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا، أي لما كان إلا في صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم
إذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته إذا كان على صورته.
قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين الآية، أي لا يمكن في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من
جنسه أو من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته كالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.
فالأنبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده
ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته، فظواهرهم
وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام
والموت والفناء ونعوت الإنسانية، وأرواحهم وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر
متعلقة بالملإ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات، لا يلحقها
غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية، إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم
لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من
البشر، ولو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر
لما أطاق البشر ومن أرسلوا إليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى، فجعلوا من جهة الأجسام

والظواهر مع البشر وجهة الأرواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم إني أظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلالات **وهذه** جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الأكثر يحتاج إلى بسط وتفصيل على ما نأتي به بعد هذا بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الأول فيما يختص بالأمور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الأنبياء عليهم السلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم أن الطوارئ من التغيرات والآفات على آحاد البشر لا يخلو أن تطرأ على جسمه أو على حواسه بغير قصد واختيار كالأمراض والأسقام أو تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله إلى ثلاثة أنواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي وإن كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة الإجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه إن شاء الله مما نأتي به من التفاصيل

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته

اعلم منحنا الله وإياك توفيقه أن ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين **هذا** ما وقع إجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه **ولا**

يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي إذ لم يشك إبراهيم في إخبار الله له بإحياء الموتى ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته **والوجه الثاني** أن إبراهيم إنما أراد اختبار منزلته عند ربه وعلم إجابة دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله أولم تؤمن أي تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك **الوجه الثالث** أنه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وإن لم يكن في الأول شك إذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فأراد الانتقال من النظر أو الخبر إلى المشاهدة والترقي من علم اليقين إلى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة **ولهذا** قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله **الوجه الرابع** أنه لما احتج على المشركين بأن ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا **الوجه الخامس** قول بعضهم هو سؤال على طريق الأدب المراد أقدرني على إحياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الأمنية **الوجه السادس** أنه أرى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة **وقول** نبينا عليه السلام نحن أحق بالشك من إبراهيم نفي لأن يكون إبراهيم شك وإبعاد للخواطر الضعيفة أن تظن هذا بإبراهيم أي نحن موقنون بالبعث وإحياء الموتى فلو شك إبراهيم لكنا أولى بالشك منه إما على طريق الأدب أو أن يريد أمته الذين يجوز عليهم الشك أو على طريق التواضع والإشفاق إن حملت قصة إبراهيم على اختبار حاله أو زيادة يقينه **فإن قلت** فما معنى قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الآيتين **فاحذر** ثبتك الله أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من إثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه وأنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي ولم يسأل **ونحوه** عن ابن جبير والحسن **وحكى** قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك
إن كنت في شك الآية قالوا وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل قوله قل يا أيها الناس إن كنتم
في شك من ديني الآية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك
الآية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن
العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان يكذب فيما
يدعو إليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية
قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي عليه السلام
والنبي صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل وقيل إن هذا الشك الذي
أمر به غير النبي بسؤال الذين يقرءون الكتاب إنما هو فيما قصه الله من أخبار الأمم لا فيما دعا
إليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية
المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا
عمن أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
الآية على طريق الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي وقيل أمر النبي أن يسأل الرسل ليلة الإسراء
عن ذلك فكان أشد يقينا من أن يحتاج إلى السؤال فروي أنه قال لا أسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل
سل أمم من أرسلنا هل جاؤوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
والمراد بهذا والذي قبله إعلامه بما بعثت به الرسل وأنه لم يأذن في عبادة غيره لأحد ردا على
مشركي العرب وغيرهم في قولهم إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين أي في علمهم بأنك
رسول الله وإن لم يقروا بذلك وليس المراد شكه فيما ذكر في أول الآية وقد يكون أيضا على مثل
ما تقدم أي قل يا محمد لمن امترى في ذلك لا تكونن من الممترين بدليل قوله أول الآية أفغير الله أبتغي
حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا وأن النبي يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله

ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقد علم الله أنه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل
تزدد طمأنينة وعلما إلى علمك ويقينا إلى يقينك وقيل إن كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به
فسلهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن أبي عبيدة أن المراد إن كنت في شك من
غيرك فيما أنزلنا فإن قيل فما معنى قوله حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا
على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله أن
تظن ذلك الرسل بربها وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من
أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين وقيل إن الضمير في ظنوا عائد على الأتباع والأمم لا على
الأنبياء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى قرأ مجاهد
كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالأنبياء
وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبدأ الوحي من قوله لخديجة لقد خشيت على نفسي ليس
معناه الشك فيما أتاه من الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي أن لا تحتمل قوته
مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح أنه
قاله بعد لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه وإعلام الله تعالى له بالنبوة أول ما عرض عليه من العجائب وسلم
عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان
أولا في المنام ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة
ومشافهة فلا يحتمله لأول حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة أول ما بدئ
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب إليه الخلاء و
قالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين
يوحى إليه وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره
بغار حراء قال فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت ما أقرأ وذكر نحو حديث عائشة في غطه

لقد وافقها ابي ام ابل نعم روى الصوت فقال انما هي عين ومسيت من نومي وكانما صورت في قلبي ولم يكن
بعض اشد من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن
نفسي منه فلاقتلنها فبينما انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله
وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل في صورة رجل وذكر الحديث فقد بين هنا ان قوله
لما قال وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل اعلام الله له بالنبوة
واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه قال عليه السلام لـ
خديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا امرا ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى
ان يكون بي جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاخبار ان الابعد يعني نفسه شاعر او
مجنون والفاظ يفهم منها معنى الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء
الملك واعلام الله له انه رسوله وبعضها لا الفاظ لا يتجه شيء منها وانما بعد اعلام
الله له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد
روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين قبل ان ينزل عليه
فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما
الآن فلا وحديث خديجة واختبارها امر جبريل بكشف راسها انما كان ذلك
في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك وتزول
الشك عنها لا انه فعلته لها للنبي صلى الله عليه وسلم ولا ليختبر هو حاله بذلك بل قد
ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقة امر خديجة
ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها فقالت له
قم فاجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم

قد بيننا

قد بينّا وأبيّنه ولعلك به محمدا ان على اثارهم مستبشرة بما فعلت ليعتبطا ومستقيم لا بما يجد
النبي صلى الله عليه وسلم وقوله هو في قصة ابن ابي سرح في الشيء مما بلغنا خبرنا عن امته من انه
كان يتمنى من قومه ان يشتد سوء الحال ان يعرج في هذا الحال القول عنده فيما بلغنا ولم يتبين ولا
ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي قاله ولا يعرف مثل هذا من جهة النبي مع انه قد يحمل على انه
كان اول الامر كما ذكرناه وانه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب قومه كما قال تعالى فلعلك باخع
نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح هذا التأويل حديث رواه شريك عن
عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن
النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه
وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي
ان تكون عقوبة من ربه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو من هذا فرار يونس خشية
تكذيبه قومه له لما وعدهم به من العذاب وقوله في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه
ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل
حسّن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدّر عليه
بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه
على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي الله ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب
مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه عز وجل اذ مغاضبة
الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه
ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه
الى امر امره الله به على لسان نبي اخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك
مغاضبا وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل
من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل

بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة
اذا قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله
في اليوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان
يكون هذا الغين وسوسة او رينا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها قال غيره والغين
شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء
الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا
الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان
صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي
والعدو ومصلحة النفس وما كلفه من اعباء اداء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة
ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة
واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته
عليه ومقامه هنالك ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا
من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد
قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة
المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي عليه السلام عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو
او فترة الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه بهم
وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه

لقوله

لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عند ذلك اظهارا للعبودية والافتقار
وقال ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار قال
غيره ويستشعر الحذر ولا يركن الى الامن وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة حالة خشية
واعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة
العبادة افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا
الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله . ه
فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن
من الجاهلين وقوله لنوح فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم
انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى
وفي اية نوح لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات الجهل
بصفة من صفات الله وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم
بسمات الجاهلين كما قال اني اعظك وليس في اية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة التي
نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح قبلها فلا تسئلن ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله
ان يسأله عما طوى عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل
الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكي كذلك امر نبينا في الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد اي فلا تكونوا
من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول
بعصمتهم بعد النبوة قطعا فإن قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبيه صلى الله عليه وسلم

على ما ذكر من فعله وتعزية منه كقوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الآية وقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك
ببعضه وابتغى لها الآية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية وقوله لاخذنا
منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله يختم
على قلبك وقوله فان لم تفعل فما بلغت رسالته الآية وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين
فاعلم وفقنا الله وإياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ وان يخالف
امر ربه ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع
الكافرين لكن الله يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا
السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما قال
لموسى وهارون لا تخافا لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف
العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا
لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو
لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا
الآية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك فالمراد غيره وان هذه
حال من اشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فليس فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين

فصل

واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون
قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار
والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل
على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم

الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك
قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه
سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته وعير كفار الامم
انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من
ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو
كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما
كان يعبد قبل افظع وافحش في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم
من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل
ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكى الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن
به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين
بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا
ملحد هذا معنى كلامه فصل وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج
منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار
المبدأ ولا يشبه عليك بقول ابراهيم في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي فانه قد قيل
كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم
الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه
الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج وقوله هذا ربي اي
على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا منها ولا اشرك
قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرأيتم

ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين وقوله إذ جاء ربه بقلب سليم
أي من الشرك وقوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام **فإن قلت** فما معنى قوله لئن لم
يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين **قيل** أي إن لم يؤيدني ربي بمعونته أكن مثلكم في ضلالكم و
عبادتكم على معنى الإشفاق والحذر وإلا فهو معصوم من الضلال **فإن قلت**
فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ثم قال بعد قد
افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها **فلا** يشكل عليك لفظة
العود وأنها تقتضي أنهم إنما يعودون إلى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام
العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل
ذلك كذلك ومثله قول الشاعر: فعادا بعد أبوالا. وما كانا قبل كذلك **فإن قلت**
فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى قلنا ليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن
النبوة فهداك إليها قاله الطبري وقيل وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك إلى
الإيمان وإلى إرشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك أي لا تعرفها فهداك
إليها والضلال هنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به إلى ربه و
يتشرع به حتى هداه الله إلى الإسلام حكى معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه
وهذا مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى **قال ابن عباس** لم تكن له ضلالة
معصية وقيل هدى أي بين أمرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك إلى المدينة
وقيل المعنى وجدك فهدى بك ضالا **وعن جعفر بن محمد** ووجدك ضالا عن محبتي لك في الأزل
أي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقرأ الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى أي اهتدى بك **وقال**
ابن عطاء ووجدك ضالا أي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال إنك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة
ولم يريدوا هنا في الدين إذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا إنا لنراها في ضلال
مبين **وقال الجنيد** ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله وأنزلنا إليك الذكر

الآية **وقيل** ووجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء **ولا** أعلم أحدا قال من
المفسرين ضالا عن الإيمان **وكذلك** في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها إذا وأنا من الضالين أي
من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة **وقال** الأزهري معناه من الناسين **وقد قيل** ذلك في
قوله ووجدك ضالا أي ناسيا كما قال تعالى أن تضل إحداهما **فإن قلت** فما معنى قوله
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان **فالجواب** أن السمرقندي قال معناه ما كنت
تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان **وقال بكر القاضي**
نحوه قال ولا الإيمان الذي هو الفرائض والأحكام قال فقد كان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض
التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف إيمانا وهو أحسن وجوهه **فإن قلت**
فما معنى قوله وإن كنت من قبله لمن الغافلين **فاعلم** أنه ليس بمعنى قوله والذين هم عن
آياتنا غافلون بل حكى أبو عبد الله الهروي أن معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف إذ لم تعلمها إلا
بوحينا **وكذلك** الحديث الذي يرويه عثمان بن أبي شيبة بسنده عن جابر أن النبي صلى الله عليه
وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه أحدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف أقوم خلفه وعهده باستلام الأصنام فلم يشهدهم بعد
فهذا حديث أنكره أحمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع أو شبيه بالموضوع **وقال الدارقطني**
يقال إن عثمان وهم في إسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه والمعروف
عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث
الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور بعض أعيادهم وعزموا عليه بعد كراهته لذلك
فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك
لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا **وقوله** في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات
والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره
بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال

لشيعهم أهل الله ولا ما أخبر به عما التقط عنه فيقال سل عما بدا لك **وكذلك** لا يعترض بقوله في موسى عليه
السلام وقوله لقومه لقد كان قبل نبوته تعالى المشركين وقد قيم بهذه الحجة في الحج فكان يقف
موقفهم وقد أنه كان موقف إبراهيم

فصل

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الأنبياء في
التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه **فأما** ما عدا هذا الباب من عقود
قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علماً ويقيناً على الجملة وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين
والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده **وقد**
قدمنا منه في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما
وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف **فأما** ما تعلق منها بأمور الدنيا فلا
يشترط في حق الأنبياء العصمة من عدم معرفة الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي
عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور
الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون كما سنبين بعد هذا في الباب إن شاء الله ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئاً من أمر الدنيا
فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا
سياستهم وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا
بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم صلوات الله عليهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك كله
مشهورة **وأما** إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي إلا العلم به ولا يجوز عليه
جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما
قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء
على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني إنما

أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي
بعضهم فلا يكون أيضاً ما يعتقده مما يثمره اجتهاده إلا حقاً وصحيحاً **هذا** هو الحق الذي
لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز عليه الخطأ في الاجتهاد لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي
صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد
استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع
له قبل **هذا** فيما عقد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قلبه **فأما** ما لم يعقد عليه قلبه
من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها أولاً إلا ما علمه الله شيئاً شيئاً حتى استقر علم جملتها
عنده إما بوحي من الله أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير
منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق
ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة
إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه **وأما** ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والأرض
وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة وأشراط الساعة وأحوال السعداء
والأشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما تقدم أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما
أعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك
وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله عليه السلام إني لا أعلم إلا ما علمني
ربي وقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول موسى للخضر هل أتبعك
على أن تعلمن مما علمت رشداً وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها
وما لم أعلم وقوله أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو استأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى
وفوق كل ذي علم عليم **قال** زيد بن أسلم وغيره حتى ينتهي العلم إلى الله وهذا ما لا خفاء به
إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها **هذا** حكم عقد النبي في التوحيد والشرع

والمعارف وبذا أمور الدين بينة

فصل

واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في
جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس وقد أخبرنا القاضي الحافظ أبو
علي رحمه الله قال أنا أبو الفضل بن خيرون والعذري أبو بكر التيمي قالا ثنا أبو الحسن الدارقطني
ثنا إسماعيل الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد
عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا وكل به
قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا وإياك يا رسول الله قال وإياي ولكن الله تعالى أعانني عليه
فأسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني إلا بخير وعن عائشة بمعناه روي فأسلم بضم
الميم أي فأسلم أنا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فأسلم يعني القرين أنه
انتقل عن حال كفره إلى الإسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم
فاستسلم قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه فإذا كان
هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته
ولا أقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في إطفاء
نوره وإماتة نفسه وإدخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له
في صلاته فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وأسره ففي الصحاح قال أبو هريرة رضي الله عنه قال عليه
السلام إن الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة فأمكنني
الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا تنظرون إليه فذكرت قول أخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فرده الله خاسئا وفي حديث
أبي الدرداء عنه عليه السلام إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى
الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم أردت أخذه وذكر نحوه وقال لأصبح

موثقا

موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة وكذلك في حديثه في الإسراء وطلب عفريت له بشعلة نار
فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط
إلى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي
ومرة أخرى في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية
ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله أمره وعصمه ضره وشره وقد
قال عليه السلام إن عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء الشيطان ليطعن بيده في خاصرته حين ولد
فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا أن يكون بك ذات الجنب
فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فإن قيل فما معنى قوله تعالى وإما
ينزغنك من الشيطان نزغ الآية فقد قال بعض المفسرين إنها راجعة إلى قوله وأعرض
عن الجاهلين ثم قال وإما ينزغنك أي يستخفنك غضب يحملك على ترك الإعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي وقيل
ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ أدنى الوسوسة فأمره الله تعالى أنه متى تحرك عليه غضب
على عدوه أو رام الشيطان من إغرائه به وخواطر أدنى وسوسة مما لم يجعل له سبيل إليه أن يستعيذ
منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته إذ لم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة
عليه وقد قيل في هذه الآية غير هذا وكذلك لا يصح أن يتصور له الشيطان في صورة الملك
ويلبس عليه لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي أن ما
يأتيه من الله الملك ورسوله حقيقة إما بعلم ضروري يخلقه الله له أو ببرهان يظهر لديه
لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فإن قيل فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآية فاعلم أن للناس
في معنى هذه الآية أقاويل منها السهل والوهين والسمين والغث وأولى ما يقال فيها ما عليه
الجمهور من المفسرين أن التمني ها هنا التلاوة وإلقاء الشيطان فيها إشغاله بخواطر وأذكار

من أمور التنزيل التلاوة حتى يدخل عليه الوهم والنقصان مما تلاه أو يدخل غير ذلك على أفهام السامعين
من التحريف وسوء التأويل ما أزاله الله ونسخه وكشف لبسه وأحكم الله آياته وسنأتي
بالكلام على هذه الآية بعد بأشبع من هذا إن شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي إنكار
قول من قال بتسليط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وأن مثل هذا لا يصح وقد
ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال إن الجسد هو الولد الذي ولد له وقال أبو محمد
مكي في قصة أيوب وقوله أني مسني الشيطان بنصب وعذاب إنه لا يجوز لأحد أن يتأول أن الشيطان
هو الذي أمرضه وألقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك إلا بفعل الله لأمره ليبتليهم ويثيبهم قال
مكي وقد قيل إن الذي أصابه الشيطان ما وسوس به إلى أهله فإن قلت فما معنى
قوله تعالى عن يوشع وما أنسانيه إلا الشيطان وقوله عن يوسف فأنساه الشيطان ذكر ربه وقول
نبينا عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي إن هذا واد به شيطان وقول موسى في وكزته
هذا من عمل الشيطان فاعلم أن هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام
العرب في وصفهم كل قبيح من شخص أو فعل بالشيطان أو فعله كما قال تعالى كأنه رؤوس الشياطين
وقال عليه السلام فليقاتله فإنما هو شيطان وأيضا فإن قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه
إذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى وإذ قال موسى لفتاه والمروي أنه إنما
نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف
قد ذكر أنها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله فأنساه الشيطان قولين أحدهما
أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه أحد صاحبي السجن وربه الملك أي أنساه أن يذكر للملك شأن يوسف
وأيضا فإن مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوسواس ونزغ
وإنما هو بشغل خواطرهما بأمور أخر وتذكيرهما من أمورهما ما ينسيهما ما نسيا وأما
قوله عليه السلام إن هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل إن
كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله إن الشيطان أتى بلالا وهو قائم يصلي فلم يزل

يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان في ذلك الوادي إنما كان على
بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا إن جعلنا قوله إن هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم
عن الصلاة وأما إن جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو
دليل مساق حديث زيد بن أسلم فلا اعتراض به في هذا الباب لبيانه وارتفاع إشكاله

فصل

وأما أقواله عليه السلام فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت
الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا
ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا أما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى
صدق فيما قال اتفاقا وبإطباق أهل الملة إجماعا وأما وقوعه على جهة الغلط في
ذلك فبهذه السبيل عند الأستاذ أبي إسحاق ومن قال بقوله ومن جهة الإجماع فقط
وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي أبي بكر الباقلاني
ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد
على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر
به عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط والصحة
والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت
في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقا ولنزد ما أشرنا إليه من دليل
المعجزة عليه بيانا فنقول إذا قامت المعجزة على صدقه وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا
صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول إني رسول الله إليكم
لأبلغكم ما أرسلت به إليكم وأبين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد
جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه
في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره

واختلاف العقول لا يتطرق الى ما لم يتجه مشتملة على تقصير به جملة واحدة من غير خصوص فنفى به النبي عن ذلك
كله واجب بما قدمنا والاجماع الذي افاده انتهى

فصل

وقد توجهت ههنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية اخرى وان شفاعتهن لترتجى وانها لمع
الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم تلك السورة سجد
وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات ان
الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء
يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة
وان جبريل جاءه فعرض عليه هذه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن
لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الآية وقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الآية فاعلم اكرمك
الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما في توهين اصله والثاني على تسليمه
أما المأخذ الأول فيكفيك ان هذا الحديث لم يخرجه احد من اهل الصحة
ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل
غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء
المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع
ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في
الصلاة وآخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد
اصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها على

لسان النبي لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان
النبي قرأها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن
حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب
واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة و
ذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله
عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك
ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع
وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه وأما حديث الكلبي فمما
لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي
منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والانس هذا توهينه من جهة النقل فاما من جهة المعنى فقد
قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته عليه السلام ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما
من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان
ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك
كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا
وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته عليه السلام
من جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي
الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه
وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقال ايضا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف

الممات

الحمايا ذ الايه **ووجه ثان** وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه **ووجه ثالث** أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم فيها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث أصلها ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين **ووجه رابع** ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له **وهذا** مثل قوله في الآية الأخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء **وقد** روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه

بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل **قال** القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن فعل فما فعل ولا كان ليفعل **قال** ابن الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن **وقد** ذكرت في معنى هذه الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية **وأما المأخذ الثاني** فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد أجاب عن ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين **فمنها** ما روى قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم **وهذا** لا يصح إذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه **وفي** رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من الشيطان **وكل** هذا لا يصح أن يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه **وقيل** لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته **وهذا** ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو **وهو** أحد ما ذكره القاضي أبو بكر **ولا** يعترض على هذا بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع **والذي** يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي في قراءته تفصيلا كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها

ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار
فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين بحفظ السورة قبل
ذلك على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه
ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال
الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب
إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته
وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا قرأ فينتبه لذلك
ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه **وفي** رواية أبي بكر بن عبد الرحمن
نحوه وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من
القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر
به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز **ومما** يظهر في تأويله
أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة والغرانيق العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا
والمراد بالغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية **وبهذا** فسر الكلبي
الغرانيق أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى
الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله كل هذا من قولهم
ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس
عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته
ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن
ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء
وما يضل به إلا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم
وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له

قلوبهم

قلوبهم الآية **وقيل** إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين
ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشنعوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون **ونسب** هذا الفعل إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك
وأذاعوه وأن النبي قاله فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما أرسلنا من
قبلك الآية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو
كما ضمنه الله تعالى من قوله إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون **ومن ذلك** ما روي من قصة
يونس عليه السلام أنه وعد قومه العذاب عن ربه فلما تابوا كشف الله عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم
كذابا أبدا فذهب مغاضبا **فاعلم** أكرمك الله أن ليس في خبر من الأخبار
الواردة في هذا الباب أن يونس قال لهم إن الله مهلككم وإنما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك
والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم إن العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان
ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال الله تعالى إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا
عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا الآية **وروي** في الأخبار أنهم رأوا دلائل العذاب ومخايله
قاله ابن مسعود **وقال** سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر
فإن قلت فما معنى ما روي أن عبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ثم
ارتد مشركا وصار إلى قريش فقال لهم إني كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم
فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب **وفي** حديث آخر فيقول له النبي صلى الله عليه
وسلم اكتب كذا فيقول أكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما حكيما فيقول أكتب
سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت **وفي** الصحيح عن أنس أن نصرانيا كان يكتب للنبي عليه
السلام بعدما أسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له **فاعلم** ثبتنا الله
وإياك على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل إلينا سبيلا أن مثل هذه الحكاية أولا

لا تتوقع في قلب مؤمن ريب إذ هي حكاية عمن افترى وكفر بالله وقصد أن يقل خبر المسلم المتهم بكفره
بكلام أجنبي هو مثله على الله ورسله تناسوا عقيدتهم من هذا **و** العجب لمن يسلم لهذا الفعل ويستعمل بمثل
هذه الحكاية بيتا وقد صدرت في الحرف وكلام معظم لله من مثني على الله ورسوله ولم ترد عن أحد من
المسلمين وأن كان أهل من الصحابة أن الله يشاء من قال الله وأمر ألا يعلى في سيرته الله والا يعيه في الكذب ة
الذين إنما يقولون ما يالنا الله وإن يطعم الكلام نبوة ولو كان فيه صحيحه لما كان فيه قدح وانه فيهم
للنبي فيما الوحي إليه وأحوال لبينا وإن العلم عليه والنبي فيما بلغه وأفعال في الفعل أن ولا أنه
من عند الله إذ أنه فيه لم يصح الكفر من أن الكلام في ذلك المعلم حكيم أو كتبه فقال له النبي كذلك
هو مستعد لبيان ذلك أو نقلها لكلمة أو كلمتين من الأمر أن يقول قبل الخطاب الرسول الله إنه كان ما تقدم
مما أملاه الرسول لأن عليه ويقيمه ويقوم عنه بعد فقد في الأمانة على الكلام وقع فيه بين جملة
حيثه ومقتضيه لما ينقض ذلك للمعارف إذا سمع البيت أن ينسبوا إلى قافيته أو خشيتها الكلام المحكم
إلى ما يتم به ولا ينقض ذلك في جملة الكلام كما لا ينقض ذلك في ذاته والسورة **و** كذلك قوله عليه
السلام أن في كل صواب فقد يكون هذا فيما كان وجه من مقاطع خط وجملة وفقه ان لا أنه كلها
جميعها على النبي عليه السلام وإن لم يكن أحد فيهما وتوصل الكاتب بعقيبه ومع فيه مقتضى الكلام
إلى أخرى فيكتبها النبي كما فرضناه فصوبه له النبي عليه السلام ثم أحكم الله من ذلك ما
أحكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى إن تعذبهم فإنهم
عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم **و** هذه قراءة الجمهور **و** قد قرأ جماعة
فإنك أنت الغفور الرحيم وليست من المصحف **و** كذلك كلمات جاءت على وجهين في غير هذه المقاطع
قرأ بهما معا الجمهور وثبتا في المصحف مثل وانظر إلى العظام كيف ننشزها وننشرها ونقض
الحق ويقضي الحق **و** كل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب لنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ووهما
وقد قيل إن هذا يحتمل أن يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس غير
القرآن فيصفه الله ويسميه كذلك كيف يشاء ٥

فصل

هذا القول فيما طريقه البلاغ **وأما** ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الأخبار
التي لا مستند لها إلى الأحكام ولا أخبار المعاد ولا تضاف إلى وحي بل في أمور الدنيا وأحوال نفسه
فالذي يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا وأنه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه
ودليل ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم إلى
تصديق جميع أحواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي شيء وقعت وأنه لم يكن لهم
توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو أم لا **ولما**
احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر حين أجلاهم من خيبر بإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم واحتج عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال اليهودي
كانت هزيلة من أبي القاسم فقال له عمر كذبت يا عدو الله **وأيضا** فإن أخباره وآثاره
وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه
السلام لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته
عليه السلام رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك
من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا
فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله اسق يا زبير
حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله
مع أشباهها **وأيضا** فإن الكذب متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما
هو على أي وجه كان استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعا **ولهذا**
ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع
ثقته **وأيضا** فإن تعمد الكذب في أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع

مسقطة للمروءة، وكل هذا مما ابتنى عنه منصب النبوة ولكن احوال كثيرة منها يستشنع ويمنع
مما يخل بصاحبه ويزري به فلا يليق بالانبياء أحق بذلك واما فيما لا يقع منه التوقع فان يعوده كلما هي
الصغائر فمحمل نجمه على مذاهب الخلاف فيما تقدم فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره
سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي وتجويز شيء
من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء
خلف في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من سامح في تجويز ذلك
عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة
ولا الاتسام به في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم
بعد. وانظر احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم من الامم وسؤالهم
عن حاله في صدقه ولسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف، واتفق النقل على عصمة نبينا
صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد. وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما
يبين لك صحة ما اشرنا اليه.

فصل

فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا
به الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه، قال ابو الاصبغ بن سهل، حدثنا حاتم بن محمد، حدثنا ابو عبد الله
ابن الفخار، حدثنا ابو عيسى، حدثنا عبيد الله، حدثنا يحيى، عن مالك، عن داود بن الحصين، عن ابي سفيان مولى ابن
ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في
ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل ذلك لم يكن. وفي الرواية الاخرى ما قصرت الصلاة وما نسيت. الحديث بقصته فاخبر بنفي
الحالتين وانهما لم تكونا وقد كان احد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله.
فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف

ومنها

ومنها ما هو بين التعسف والاعتساف. وها انا اقول: اما على القول بتجويز الوهم
والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا
الحديث وشبهه. واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة ويرى انه في مثل هذا
عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد
هذا الفعل في هذه الصورة ليسن لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه.
واما على احالة السهو عليه في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما
سنذكره ففيه اجوبة: منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره،
اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا، واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده
وانه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا. وجه
ثان: ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في
نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد. وجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه
بعضهم وان احتمله اللفظ من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما
ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت.
هذا ما رأيته فيه لأئمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر
منها. قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه: والذي اقول ويظهر
لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على
غيره بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسي، وبقوله في بعض روايات
الحديث الآخر: لست انسى ولكن انسى. فلما قال له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت
انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى
سأل غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن. فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل
ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي. ووجه آخر استنبطته

من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى
عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال قال فكان النبي عليه
السلام يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها
لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما نسيت خلف في قول
واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذباته الثلاث المنصوص
في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم وقوله للملك عن زوجته انها اختي
فاعلم اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي
داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب **اما** قوله اني سقيم **فقال**
الحسن وغيره معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم
الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم
وعنادكم **و**قيل بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته **و**كل هذا
ليس فيه كذب بل خبر صحيح صدق **و**قيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه
لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره في ذلك وقبل استقامة حجته
عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله
عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته
عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقدمنا بيانه **واما قوله**
بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على
طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا لا خلف فيه **واما** قوله اختي فقد بين في الحديث
وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المومنون اخوة **فان قلت**
فهذا النبي قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة
ويذكر كذباته **فمعناه** انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا

هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم بمؤاخذته بها
واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف
في القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع
اخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع
كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف **فان قلت**
فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه
ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث **و**فيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد
انبأ الله انه ليس كذلك **فاعلم** انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة
عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف
فيه ولا شبهة **و**على الطريق الاخر محمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة
والاصطفاء يقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه
وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة
وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم
غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على
الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما **و**عتب الله عليه فيما قاله
العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا
وانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية
نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من
الكبر والعجب والتعاطي والدعوى ما نزه عنه الانبياء واضطر فيه غيرهم بمدرجة
سبيلها ودرك تبليغها الا من عصمه الله فالتحفظ منه اولى لنفسه وليقتدى به **و**لهذا
قال عليه السلام تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر **وهذا**

الخضر نبي، وأخرى حجة للقائلين بنبوة الخضر لقوله فيه أنا أعلم من موسى، ولا يكون الولي أعلم من النبي، وأما الأنبياء فيتفاضلون في المعارف، وبقوله وما فعلته عن أمري، فدل أنه بوحي. ومن قال إنه ليس بنبي قال يحتمل أن يكون فعله بأمر نبي آخر، وهذا يضعف لأنه ما علمنا أنه كان في زمن موسى نبي غيره إلا أخاه هارون، وما نقل أحد من أهل الأخبار في ذلك شيئا يعول عليه، وإذا جعلنا أعلم منك ليس على العموم وإنما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج إلى إثبات نبوة خضر. ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى أعلم من الخضر فيما أخذ عن الله في التبليغ... الخضر أعلم فيما دفع إليه من موسى، وقال آخر إنما ألجئ موسى إلى الخضر تأديبا لا للتعليم

فصل

وأما ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام، ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به، فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات، ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه، وهو مذهب القاضي أبي بكر، ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع، وهو قول الكافة، واختاره الأستاذ أبو إسحاق. وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ، لأن كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة. وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، وسنورد بعد هذا ما احتجوا به. وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف، وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم، ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين. وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها من الكبائر وإشكال ذلك، وقول ابن عباس وغيره إن كل ما عصي الله به فهو كبيرة، وإنه إنما سمي منها الصغير بالإضافة إلى ما هو أكبر منه، ومخالفة الباري في أي أمر كان يجب كونه كبيرة. قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب: لا يمكن أن يقال إن في معاصي الله صغيرة إلا على معنى أنها تغتفر باجتناب الكبائر، إذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء، والمشيئة في العفو عنها إلى الله تعالى، وهو قول القاضي أبي بكر وجماعة أئمة الأشعرية وكثير من أئمة الفقهاء. وقال بعض أئمتنا: ولا يجب على القولين أن يختلف أنهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها، إذ يلحقها ذلك بالكبائر، ولا في صغيرة أدت إلى إزالة الحشمة وأسقطت المروءة وأوجبت الإزراء والخساسة، فهذا أيضا مما يعصم عنه الأنبياء إجماعا، لأن مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه، والأنبياء عليهم السلام منزهون عن ذلك، بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فأدى إلى مثله لخروجه بما أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر. وقد ذهب بعضهم إلى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا. وقد استدل بعض الأئمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم واتباع آثارهم وسيرهم مطلقا، وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة من غير التزام قرينة، بل مطلقا عند بعضهم، وإن اختلفوا في حكم ذلك. وحكى ابن خويز منداد وأبو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا، وهو قول الأبهري وابن القصار وأكثر أصحابنا، وقول أكثر أهل العراق وابن سريج والإصطخري وابن خيران من الشافعية، وأكثر الشافعية على أن ذلك ندب. وذهبت طائفة إلى الإباحة، وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الأمور الدينية وعلم به مقصد القربة. ومن قال بالإباحة في أفعاله لم يقيد. قال: فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم، إذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده به من القربة أو الإباحة أو الحظر أو المعصية، ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية، لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين. ونزيد هذا حجة بأن نقول: من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على أنه لا يقر على منكر من قول أو فعل، وأنه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه، فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه

في تعبيره وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل إذ الحظر أو الندب على الاقتدا
بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه **وأيضا** فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء
بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء بأقواله فقد نبذوا
خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر إياه جالسا
لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة
أو العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله **وقال** هلا خبرتيها أني أقبل
وأنا صائم **وقالت** عائشة محتجة كنت أفعله أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي أخبر بمثل هذا عنه وقال يحل الله لرسوله ما
يشاء وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم بحدوده **و**الآثار في هذا أعظم من أن نحيط عليها لكنه
يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم أفعاله واقتداؤهم بها **و**لو جوزوا عليه المخالفة في
شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما أنكر عليه السلام قوله
واعتذاره بما ذكرناه **وأما** المباحات فجائز وقوعها منهم إذ ليس فيها قدح بل هي مأذون
فيها وأيديهم كأيدي غيرهم مسلطة عليها إلا أنهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت
له صدورهم من أنوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من
المباحات إلا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم
وما أخذ على هذا السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه أول الكتاب طرفا في خصال
نبينا عليه السلام **فبان لك** عظيم فضل الله على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى
سائر أنبيائه عليهم السلام بأن جعل أفعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم
المعصية

فصل

وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون
والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة

تصورها

تصورها كالممتنع فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع **وقد**
اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل أن يوحى إليه هل كان متبعا لشرع قبله أم لا
فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا
معتبرة في حقه حينئذ إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي وتقرر الشريعة
ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها **فذهب** سيف السنة ومقتدى
فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع **و**حجته
أنه لو كان ذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة إذ كان من مهم أمره وأولى ما اهتبل به من
سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة **وذهبت**
طائفة إلى امتناع ذلك عقلا قالوا لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا **و**بنوا هذا على
التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة **وقالت** فرقة أخرى بالوقف في أمره عليه
السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك إذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها
في أحدهما طريق النقل **و**هو مذهب أبي المعالي **وقالت** فرقة ثالثة إنه كان عاملا
بشرع من قبله **ثم** اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن تعيينه وأحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم **ثم** اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح
وقيل إبراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين **فهذه** جملة المذاهب
في هذه المسألة **و**الأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر **و**أبعدها مذاهب المعينين إذ لو
كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة **و**لا حجة لهم في أن عيسى آخر الأنبياء فلزمت
شريعته من جاء بعده إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم تكن لنبي دعوة
عامة إلا لنبينا عليه السلام **و**لا حجة أيضا للآخر في قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا
ولا للآخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا **فمحمل** هذه الآية على اتباعهم في التوحيد
كقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده **و**قد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة

بقصة يوسف مع إخوته على قول من يقول إنه نبئ بهذا وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه
الآية مع أنهم مختلفون في أكثر الجمع فيما قبل النبوة ما اجتمعوا عليه من أمر يوسف وعقاب الله
تعالى **وبعد هذا** فقد يلزم من قال بمنع ذلك في الأنبياء منه القول في سائر الأنبياء غير نبينا
أو يجيز العصمة فيهم اختصاصا منهم دون الأنبياء عقلا فيهم داخلة في كل نقل للإمام فيه **وأما**
من قال إن النبي لا يتعلق بما يتصور لديه ولعله بعد الانبعاث **ومن** قال بالوقف فعلى أصله **ومن**
قال بوجوب الاتباع لمن قبله فيلزمه بحسب ما قدمنا في كل شيء

فصل

هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الأعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت
التكليف **وأما** ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر
الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فأحوال الأنبياء في ترك المؤاخذة
به وكونه ليس بمعصية لهم مع أممهم سواء **ثم** ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ و
تقرير الشرع وتعلق الأحكام وتعليم الأمة بالفعل وأخذهم باتباعه فيه **وما** هو خارج عن
هذا مما يختص بنفسه **أما** الأول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في
هذا الباب **وقد ذكرنا** الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام وعصمته من جوازه عليه
قصدا أو سهوا فكذلك قالوا الأفعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا
لأنها بمعنى القول من جهة التبليغ والأداء وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك و
تسبب المطاعن **واعتذروا** عن أحاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا **وإلى هذا**
مال أبو إسحاق **وذهب** الأكثر من الفقهاء والمتكلمين إلى أن المخالفة في الأفعال البلاغية والأحكام
الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من أحاديث السهو في الصلاة وفرقوا بين
ذلك وبين الأقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها **وأما**
السهو في الأفعال فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب

من سمات البشر كما قال عليه السلام إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني **نعم**
بل حالة السهو والنسيان هنا في حقه عليه السلام سبب إفادة العلم وتقرير شرع كما قال
عليه السلام إني لأنسى أو أنسى لأسن وقد روي لست أنسى ولكن أنسى لأسن وهذه الحالة
زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص وأغراض الطعن فإن القائلين
بتجويز ذلك يشترطون أن الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه
بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الآخرين **وأما** ما ليس طريقه
البلاغ ولا بيان الأحكام من أفعاله عليه السلام وما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه مما لم
يفعله ليتبع فيه فالأكثر من طبقات علماء الأمة على جواز السهو والغلط عليه فيها و
لحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الأمة ومعاناة
الأهل وملاحظة الأعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال
عليه السلام إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض معجزته
وذهبت طائفة إلى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه عليه السلام
جملة **وهو** مذهب جماعة المتصوفة وأصحاب علم القلوب والمقامات **ولهم** في هذه الأحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا إن شاء الله

فصل في الكلام على الأحاديث المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم

قد قدمنا في الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو وما يمتنع وأحلناه في الأخبار
جملة وفي الأقوال الدينية قطعا وأجزنا وقوعه في الأفعال الدينية على الوجه الذي رتبناه
وأشرنا إلى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه **والصحيح** من الأحاديث الواردة في
سهوه عليه السلام في الصلاة ثلاثة أحاديث **أولها** حديث ذي اليدين في السلام
من اثنتين **الثاني** حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين **الثالث** حديث ابن مسعود

أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا ومنها ذو اليدين مبنية على السهو في الفعل الزيد
من رباعية وحكمة الله فيه ليستن به إذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول وأرفع للاحتمال وشرطه
أن لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وإن
السهو والنسيان في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد
قال عليه السلام إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد
أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن ويروى أنسيتهن وقال عليه السلام إني لأنسى أو أنسى
لأسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن
وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار أنه ليس بشك وأن معناه التقسيم أي أنسى أنا أو
ينسيني الله قال القاضي أبو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه أن يريد إني أنسى في اليقظة
وأنسى في النوم أو أنسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشيء والسهو أو أنسى مع
إقبالي عليه وتفرغي له فأضاف أحد النسيانين إلى نفسه إذ كان له بعض السبب فيه ونفى
الآخر عن نفسه إذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من أصحاب المعاني والكلام على
الحديث إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لأن النسيان ذهول
وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام
يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج
بقوله في الرواية الأخرى إني لا أنسى وذهبت طائفة إلى منع هذا كله عنه وقالوا
إن سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى
بطائل منه لأنه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم إنه أمر بتعمد صورة
النسيان ليسن لقوله إني لأنسى أو أنسى وقد أثبت أحد الوصفين ونفى مناقضة
التعمد والقصد وقال إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وقد مال إلى هذا عظيم من المحققين
من أئمتنا رحمهم الله وهو أبو المظفر الإسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا أرتضيه وأجمعت

لما تبين لها بقي في قوله إني لا أنسى وأكون أنسى أن يعتمد فيه نفي حكم النسيان بالجملة وإنما فيه نفي
لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لأحدكم أن يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي أو نفي الغفلة
وقلة الاهتمام بأمر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل
إن الذي ترك يوم الخندق أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب إلى
جواز تأخير الصلاة في الخوف إذا لم يتمكن من أدائها إلى وقت الأمن وهو مذهب الشاميين
والصحيح أن حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فإن قلت فما تقول في
نومه عليه السلام يوم الوادي وقد قال إن عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم
أن للعلماء عن ذلك أجوبة منها أن المراد أن هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في
غالب الأوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التأويل
قوله عليه السلام في الحديث نفسه إن الله قبض أرواحنا وقول بلال فيه ما ألقيت علي نومة مثلها
قط ولكن مثل هذا إنما يكون منه لأمر يريده الله تعالى من إثبات حكم وتأسيس سنة و
إظهار شرع وكما قال في الحديث الآخر لو شاء الله لأيقظنا ولكن أراد أن يكون لمن بعدكم
الثاني أن قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي أنه كان محروسا
وأنه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن عباس المذكور
فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع أهله فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد
النوم إذ لعل ذلك لملامسة الأهل أو لحدث آخر ألا ترى في آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت
غطيطه ثم أقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من أجل أنه يوحى إليه في
النوم وليس في قصة الوادي إلا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب و
قد قال عليه السلام إن الله قبض أرواحنا ولو شاء لردها إلينا في حين غير هذا فإن قيل
فلولا عادته عليه السلام في استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ لنا الصبح فقيل

في الجواب أنه كان من شأنه عليه السلام التغليس بالصبح ومراعاة أول الفجر لا تصح ممن نامت
عينه إذ هو ظاهر مدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة أوله ليعلمه بذلك كما لو
شغل بشغل غير النوم عن مراعاته **فإن قيل** فما معنى نهيه عليه السلام عن القول
نسيت وقد قال عليه السلام إني أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني وقال لقد أذكرني كذا
وكذا آية كنت أنسيتها **فاعلم** أكرمك الله أنه لا تعارض في هذه الألفاظ أما
نهيه عن أن يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن أي أن الغفلة في هذا لم تكن
منه ولكن الله اضطره إليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو أو غفلة من قبله تذكرها
صلح أن يقال فيه أنسي **وقد** قيل إن هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب
أن يضيف الفعل إلى خالقه والآخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه وإسقاطه عليه
السلام ما أسقط من هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما أمر ببلاغه وتوصيله إلى عباده ثم
يستذكرها من أمته أو من قبل نفسه إلا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز أن ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز أن ينسى منه
قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره إياه ويستحيل دوام
نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه

فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك

اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين
احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن والحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز
الكبائر وخرق الإجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في
معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت أقاويل فيه للسلف بخلاف ما التزموه من
ذلك فإذا لم يكن مذهبهم إجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الأدلة على خطأ

قولهم

قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير إلى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله تعالى
فمن ذلك قوله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك
وقوله عفا الله عنك لم أذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
عظيم وقوله عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآية وما قص من قصص غيره من الأنبياء كقوله
وعصى آدم ربه فغوى وقوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا
له شركاء الآية وقوله عن يونس سبحانك إني كنت من الظالمين وما ذكر من قصته وقصة داود
وقوله وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب إلى مآب وقوله ولقد همت قوله
به وهم بها وما قص من قصته مع إخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال
هذا من عمل الشيطان وقول النبي عليه السلام في دعائه اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت
وما أعلنت ونحوه من أدعيته عليه السلام وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة
وقوله إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله وفي حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله وأتوب
إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح وإلا تغفر لي الآية وقد كان قال الله تعالى
ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون وقال عن إبراهيم والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم
الدين وقوله عن موسى تبت إليك وقوله ولقد فتنا سليمان إلى ما أشبه هذه الظواهر من
فأما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف
المفسرون فيه فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما
لم يقع أعلمه أنه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها حكاه أحمد بن
نصر وقيل المراد بذلك أمته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه
الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه
السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك قال مكي

والمؤمنات، قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأمته وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فأنزل الله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وبمآل المؤمنين في الآية الاخرى بعد ما قاله ابن
عباس فمقصد الآية انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان. قال بعضهم المغفرة هاهنا
تبرئة من العيوب. واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من
ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته
منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره وحكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل
ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل ايام
الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك
حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام
النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله تعالى له وكفايته من ذنوب لو كانت
لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله
تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه. واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم
يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية بل لم
يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك. قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك
بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد
قال الله فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال

وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنبا. قال الداودي روي انها تكرمة. قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك
وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله. واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين
سائر الانبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي
قبلي. فان قيل فما معنى قوله تعالى تريدون عرض الدنيا الآية قيل
المعنى بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد
بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف
عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق. واختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها
لولا انه سبق مني اني لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على
الغنائم. ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن
احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى. وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال
لكم لعوقبتم. فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا. وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك. وقد روي عن
علي قال جاء جبريل الى النبي عليه السلام يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا الفداء وان
شاؤوا القتل على ان يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا. وهذا دليل على صحة ما
قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره
من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير
عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري. وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل عذاب

من العلماء بما جاهدتم الآخرة إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بما أخذ به في هذا من الإعزاز للدين وإظهار كلمته وإبادة عدوه وأن هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله ق عين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق **وقال** الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الأمر فيه إليه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك **وقال القاضي بكر بن العلاء** أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه الله من إحلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله تعالى ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد من عام **فهذا** كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الأسرى كان على تأويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم لكن الله تعالى أراد لعظيم أمر بدر وكثرة أسراها والله أعلم إظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وإنكار وتذنيب **هذا** معنى كلامه **وأما** قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى الآيات فليس فيه إثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام بل إعلام الله تعالى أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وأن الصواب والأولى كان لو كشف لك حال الرجلين الإقبال على الأعمى **و**فعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله تعالى له لا معصية ومخالفة له **و**ما قصه الله تعالى عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده والإشارة إلى الإعراض عنه بقوله تعالى وما عليك ألا يزكى **و**قيل المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام **وأما قصة** آدم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى فكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية في قوله وعصى آدم

ربه

ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما **قال** ابن زيد نسي عداوة إبليس له وما عهد الله إليه من ذلك بقوله إن هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل نسي ذلك بما أظهر لهما **وقال** ابن عباس إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي **و**قيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف إبليس لهما إني لكما لمن الناصحين وتوهما أن أحدا لا يحلف بالله حانثا **وقد** روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار **وقال** ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع **و**قد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما أي قصدا للمخالفة **و**أكثر المفسرين على أن العزم هنا الحزم والصبر **و**قيل كان عند أكله سكران **و**هذا فيه ضعف لأن الله وصف خمر الجنة أنها لا تسكر **و**إذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك إن كان ملبسا عليه غالطا إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف **وقال** الشيخ أبو بكر ابن فورك وغيره إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة **و**دليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان **و**قيل بل أكلها متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا عن الجنس **و**لهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة **و**قيل تأول أن الله لم ينههما عنها نهي تحريم **فإن قيل** فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وإني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملا آخر الفصل إن شاء الله **وأما** قصة يونس فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص على ذنب وإنما فيه أبق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه **و**قيل إنما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب **و**قيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبدا **و**قيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك **و**قيل ضعف عن حمل أعباء الرسالة **وقد**

تقدم من الكلام الذي لم يكن فيهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية بل على قول من عفا عنه وقوله
ابوا اليه العلة المتقدمة قال المفسرون ونبا عن واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم
وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن
قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه
فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه
اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحواء ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما
غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة
داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الذين
بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح
والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الى
قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع
وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لي
عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا
الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد
وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول
خصمه والى نفي ما اضيف الى داود في الاخبار ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من
المحققين قال الداودي ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل
مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان اختصما في نعاج غنم على ظاهر الاية
واما قصة يوسف واخوته فليس على يوسف فيها تعقب واما اخوته فلم تثبت
نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبياء قال
المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا

كانوا

كانوا صغارا ولذلك لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا
يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه
ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم
النفس لا يواخذ به وليست سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم
يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين من
الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس
من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك على طريق
التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة
ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه
لهم بها وقد قال الله تعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي
قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل همه بها اي زجرها ووعظها وقيل همه بها اي غمه
امتناعه عنها وقيل هم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل
نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى
عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واما خبر موسى
مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قيل كان من القبط الذين كانوا على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله انه كان قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا
ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت نفسي
فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر وقال
النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان

هذا كان قبل النبوءة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء
بعد ابتلاء قيل في قصته وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في اليم والتابوت وغير ذلك و
قيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها
واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما
يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطمه ففقأ عينه الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل
لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة آدمي ولا يمكن انه علم
حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور
له فيها الملك امتحانا من الله فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين
والمتاخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تأويل شيخنا الامام ابي عبد الله
المازري وقد تأوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عين حجته
واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان ف
معناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاطوفن الليلة على
مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن ياتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء
الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو
الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على
كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص
وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه
على خصمهم وقيل اخذ بذنب قارب بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به
وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد

عصم

عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة
احدها ما روي في الخبر الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني
انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا
سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون ان لا يسلط عليه احد
كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان
يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه
وقيل ليكون دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص
محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه
اخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم
ما طوي عنه من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم
لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم
فووخذ بهذا السؤال وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال
فيه وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الآية غير هذا وكل هذا لا يقضي
على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تأويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه
وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك
نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي ان هذا الذي اتى معصية
بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان
هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه
وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما
قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته
فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه

... فيما أوحى الله إليهم من الحال بالتوبة والاستغفار منه والله أعلم

فصل

فإن قلت فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من
اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر في
القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما
سلف منهم وإشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء **فاعلم** وفقنا الله
وإياك أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده وعظيم سلطانه
وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم
وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أوخذوا عليها وعوتبوا بسببها
وحذروا من المؤاخذة بها وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة
خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها
كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدنيء الرذل ومنه ذنب كل شيء أي
آخره وأذناب الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم
وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي
والخشية لله وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش
ما تكون بالإضافة إليه هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين أي
يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى
اللفظة كيفما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي جهل أن تلك الشجرة هي
التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها وخابت أمنيته وهذا
يوسف عليه السلام قد ووخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر
ربه الآية قيل أنسي يوسف ذكر الله وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك **قال النبي**

صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث **قال** ابن دينار لما قال ذلك يوسف
قيل له اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى **وقال**
بعضهم يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في
أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب **وقد** قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان
الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم
إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم **فاعلم** أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في
هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم
ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الآية وقال بعد قول موسى تبت إليك إني اصطفيتك
على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته فسخرنا له الريح إلى وحسن مآب **قال**
بعض المتكلمين زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه
وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع
بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم **ولهذا** قال صالح المري
ذكر داود بسطة للتوابين **وقال** ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا
له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام **وأيضا** فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون
بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف في عصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع
الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم
منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل
وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم
السلام على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما

قال عليه السلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر أفلا أكون عبدا شكورا وقال إن أخشاكم لله
وأعلمكم بما أتقي. قال الحارث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون
وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستن بهم أممهم كما قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا. وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء
وهو استدعاء محبة الله قال الله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الرسل
والأنبياء الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه
معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله على
النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

فصل

قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله وصفاته
أو كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا وإجماعا وقبلها
سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا أو غير قصد واستحالة ذلك عليه
شرعا وإجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر إجماعا وعن
الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه
للأمة وعصمته في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن تتلقاه باليمين
وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها
فإن من يجهل ما يجب للنبي أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في
بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط
في هوة الدرك الأسفل من النار إذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل صاحبه دار البوار
ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع

صفية فقال لهما إنها صفية ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف
في قلوبكما شيئا فتهلكا. هذه أكرمك الله إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل
جاهلا لا يعلم بجهله إذا سمع شيئا منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم وأن السكوت أولى وقد
استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها. وفائدة ثانية يضطر إليها في أصول
الفقه ويبتنى عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من تشعيب مختلفي الفقهاء في عدة
منها وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير من
أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في أخباره وبلاغه وأنه لا يجوز عليه
السهو فيه وعصمته من المخالفة في أفعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع
خلاف في امتثال الفعل بسطه بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به. وفائدة ثالثة
يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الأمور ووصفه بها
فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك
ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام أو يسقط
حقا ويضيع حرمة للنبي عليه السلام. وبسبيل هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة العلماء
والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة

أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم
حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم
كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن
المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا إلا له مقام
معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الآية وبقوله

كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين
منهم والمقربين واحتجوا بأشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد
ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن
جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار الى
ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في
عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة هنا
فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار
ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك
الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
هو شيئا يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم
فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات
في افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها
نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت
وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما
في قوله وما انزل على الملكين نافية او موجبة فأكثر المفسرين ان الله امتحن الناس
بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه آمن قال الله تعالى انما نحن
فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعليمه لا تفعلوا كذا
فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا كذا فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة
وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران
انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وما
انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر

الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء
فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان
ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته
عليه الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي هما جبريل
وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت
وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك
قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان وتكون ما نفيا على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة
فحمل الآية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد
وصفهم الله بأنهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه
قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه
من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه
ابو الجن كما آدم ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان
من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام
العرب سائغ وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه من الاخبار
ان خلقا من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك
حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية

قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر

يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على البشر وهذا
كله ليس بنقيصة فيه لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم منه وأكمل من نوعه وقد
كتب الله على أهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة
الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى وأصابه الحر والقر وأدركه الجوع والعطش ولحقه
الغضب والضجر وناله الإعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه
الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي
صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشرية التي
لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا
بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد نبينا من الناس
فلئن لم يكف نبينا ربه يد ابن قمئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف
فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور وأمسك عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس
سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم فلقد وقاه ما هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر
أنبيائه مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم
ويتم كلمته فيهم وليحققوا بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا
يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى بعيسى ابن مريم وليكون في محنهم تسلية لأممهم ووفور
لأجورهم عند ربهم تماما على الذي أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات
المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة
الجنس وأما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها
عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال
إني لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر
أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع

وسهر

وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق
النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض
الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره إذا جاع ضعف
لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد أخبر أنه لا يعتريه
ذلك وأنه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال
كلها من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما
لا يليق به كما يعتري غيره من البشر مما نأخذ بعد في بيانه

فصل

فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام سحر كما حدثنا
الشيخ أبو محمد العتابي بقراءتي عليه قال نا حاتم بن محمد نا أبو الحسن علي بن خلف نا محمد بن أحمد نا
محمد بن يوسف نا البخاري نا عبيد بن إسماعيل نا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت
سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله وفي رواية أخرى
حتى كان يخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور كان
فكيف حال النبي في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك
أن هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها
على أمثالها إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في
أمره لبسا وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا
يقدح في نبوته وأما ما ورد أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا
ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع
على عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل
من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا

حقيقة له ثم تنجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل
إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها أنه
نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخييلات وقد
قيل إن المراد بالحديث أنه كان يتخيل الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون
اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا من الأجوبة
عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها
مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال
فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن ينكر بصره ثم دله الله تعالى على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وذكر
عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة
فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال
عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى أنكر بصره
فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على
قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف
جسمه وأمرضه وروى محمد بن سعد عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة ويكون معنى قوله يخيل
إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا
منهن أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعل لمثل هذا
أشار سفيان بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى إنه ليخيل
إليه أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا من بعض

أزواجه

أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء
طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد
به الملحد المعترض أنسا

فصل

هذه حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم
بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيء على وجه ويظهر
خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر سفيان
ابن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا أنا أبو العباس أحمد بن عمر قال أنا أبو العباس الرازي قال أنا أبو
أحمد بن عمرويه قال أنا ابن سفيان قال أنا مسلم قال أنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد المعقري
قالوا أنا النضر بن محمد قال أنا عكرمة قال أنا أبو النجاشي قال أنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا
كان خيرا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا
به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي
حديث آخر إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من
قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور
الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه أو سنة سنها
وكما حكى ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم نزل بأدنى مياه بدر فقال له الحباب بن المنذر أهذا منزل
أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة
قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب فنشرب
ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله وقد قال الله له وشاورهم في الأمر وأراد

مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة فاستشار الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا
وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما
ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل بها نفسه والنبي مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الأمة الدينية والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر
وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد
تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها
ما هو معجز في البشر مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب

فصل

وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق
من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام إنما أنا بشر وإنكم
تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له
من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار حدثنا
الفقيه أبو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر ثنا أبو محمد ثنا أبو بكر ثنا أبو داود
ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم
أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له وتجري أحكامه عليه السلام على
الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص
والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر
أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن
لما أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به في أفعاله وأحواله ومقاطعه وسيره وكان هذا لو

كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة
بقضية من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم ما أطلع عليه هو في تلك القضية بحكمه هو إذا
في ذلك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله
أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين
قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين من سنته إذ البيان بالفعل أوقع
منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر أجلى في البيان وأوضح
في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام أمته ويستوثق
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح
هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل

وأما أقواله الدنيوية من أخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد
قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضى
أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله
الصدق والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في
الأمور الدنيوية لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما
روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا في تحببهم
ومسرة نفوسهم كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي بعينه
بياض وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام إني
لأمزح ولا أقول إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما ليس سبيله سبيل الخبر مما صورته
صورة الأمر والنهي في الأمور الدنيوية فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء

او نهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين
فكيف خائنة القلب فان قلت فما معنى اذا قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي
انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الآية فاعلم اكرمك الله ولا تسترب
في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين
ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك
زوجك واتق الله واخفى منه في نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره
بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى
الله عليه وسلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا
قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح
هذا ان الله لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه
به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله الآية فدل انه
لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله لمن قبله
من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما
روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته
طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة
الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء
قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء
يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي اياها
لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على

المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل
فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه انها
زوجته فنهاه النبي عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما
طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته
كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل كان امره لزيد
بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجأة
واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو
عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة
والتعويل والاولى ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه و
استحسنه القاضي القشيري وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين
واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء
كما كان فعتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة
رضى ازواجه في سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الآية كذلك قوله ههنا وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه

فصل

فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله في جميع احواله وانه لا
يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب
ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله قال حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحاق قالوا
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا علي بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله

ابن عبيد الله عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقال بعضهم إن رسول الله قد
غلبه الوجع الحديث **وفي** رواية ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فتنازعوا
فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فالذي أنا فيه خير **وفي** بعض طرقه فقالوا إن النبي
صلى الله عليه وسلم يهجر **وفي** رواية هجر **وفي** رواية أهجر **أو** فيه فقال عمر إن النبي
صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندكم كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا
عني **وفي** رواية واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر **قال** الإمام في هذا الحديث النبي
غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على
جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي إلى فساد في
شريعته من هذيان أو اختلال في كلام **و**على هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث
هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجرا إذا هذى وأهجر هجرا إذا أفحش وأهجر تعدية هجر **وإنما**
الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب **و**هكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من
رواية جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة **و**كذا ضبطه
الأصيلي بخطه في كتابه وغيره من هذه الطرق **و**كذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره
وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول
القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول وشدة وجعه
وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل
لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق
على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا **وأما** على رواية أهجرا وهي
رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون

هذا راجعا إلى المختلفين عنه صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول **و**الهجر بضم الهاء الفحش في
المنطق **وقد** اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه
السلام أن يأتوه بالكتاب **فقال** بعضهم أوامر النبي يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها
بقرائن فلعل قد ظهر منه من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر
رده إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة
ولما رأوه من صواب رأي عمر **ثم** هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى
الله عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال
إن النبي اشتد به الوجع **وقيل** خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج
بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله قال اليوم
أكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام أوصيكم بكتاب الله وعترتي **و**قول عمر حسبنا كتاب الله
رد على من نازعه لا على أمر النبي **وقيل** إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض
لما كتب لذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية
وغير ذلك **وقالت** طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها **و**استدل في مثل هذه القصة بقول العباس رضي الله عنه
لعلي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة علي هذا
وقوله والله لا أفعل الحديث **و**استدل بقوله دعوني فالذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم
وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم **وذكر** أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك

فصل

قال فيه أما وجد حديثه أيضا الذي به حدثنا الفقيه أبو محمد الخشني
بقراءتي عليه نا أبو علي الفقيه نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد الجلودي نا ابن سفيان
نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت
أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب
البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها
له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة
وفي رواية ليس لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته
فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وقد يقع أن يتخيل أن النبي صلى الله عليه وسلم من يستحق
العفو ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو
معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك أن قوله أولا ليس لها بأهل أي عندك
يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها فحكم
عليه السلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم دعا عليه السلام
لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل في من
دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه عليه
السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا
معنى صحيح ولا يفهم من قوله أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز
أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه كان مما يحتمل ويجوز
عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه أو العفو عنه وقد يحمل أنه خرج مخرج
الإشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد منه
من الدعاء هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت
به عادة العرب وليس المراد بها الإجابة كقوله تربت يمينك ولا أشبع الله بطنه

وعقرى

وعقرى حلقى وغير ذلك من دعواته وقد ورد في صفته عليه السلام في غير حديث أنه عليه
السلام لم يكن فحاشا وقال أنس لم يكن سبابا ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند المعتبة
ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق عليه السلام من موافقة أمثالها
إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد
يكون ذلك إشفاقا على المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد
يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما
أصابه وتمحية لما اجترم وأن تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث
الآخر ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة قال القاضي فإن قلت فما معنى حديث
الزبير وقول النبي له صلى الله عليه وسلم حين تخاصمه مع الأنصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين
فقال له الأنصاري أن كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب أن النبي صلى
الله عليه وسلم منزه أن يقع بنفس مسلم منه في هذه القضية أمر يريبه ولكنه صلى الله عليه
وسلم ندب الزبير أولا إلى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك
الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم
البخاري على هذا الحديث باب إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث
فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا
الحديث أصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه
ورضاه وأنه وإن نهى أن يقضي القاضي وهو غضبان فإنه في حكمه في حال الغضب والرضى
سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا إنما كان لله تعالى لا
لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في إقادته عكاشة من نفسه

لم يكن ليحمله الغضب عليه اذ وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له ووقعت بالقضيب فما
ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله وكذلك
في حديثه الاخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت
عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي
ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن
لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى
عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق
فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول
الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب
الا تنبيهه فلما كان منه ايلام لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه

فصل

واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها
على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها الا لضرورته مما يقيم رمق جسمه
وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين
الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه او تالف
شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته
وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها فيركب
في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات و
يركب الخيل ويعدها ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار

مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية لخلافها
وان كان قد يظهر له ما هو خير منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد يفعل هذا في
الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه
قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان
يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة
لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم عداوتهم للدين
واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد
ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها
للعدو من قريش وقوله لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه
للكافر والعدو رجاء استئلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه الناس
لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته
ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث
مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره
وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان
تكون له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة في الداخل عليه بئس
ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه
الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب
ان فعله عليه السلام كان استئلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه
اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة
قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي

وقوله فيه يبقى ان يعقبهم ممنوعين عنه بل ممنوعين بما علموا منه لئلا يعلم المتحير حال الذين هم
فيه وان تولى بجانبه كل التعذيب فيهما وكان مظلوما مسوقا وقيل هذا اذا كان الضرر ومن وقع منه
لم يكن معصية بل كان جنايته اثرا واجلالا في تحصيل الحال بعادة البشر في خروج الشهوات والمشتهين في
الشهوة **فان قيل** ما معنى المعطل النوادر في حديث تبع من قوله عليه السلام د
لعا بتهمة وقد احتج به ان معاوية تبع اتى ابتعهما ولا يكون لهم الرواية فقال لهما عليه السلام
انتهيا واشتهي لهم الدراة فقعلن ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشتهون كتبا وكما ليس
في كتاب الله كل شيء ليس في كتاب الله فهو باطل والشيء قد امنا بانتهي لهم ولو ان وعليه ناعوا
ولو انه والله اعلم لما دعوا من غير حقه لما لم يسعوا فبل حتى يتهوكوا فيما عليهم
انه قيل عليه السلام وسوف حرم الغش والخديعة **فاعلم** اكرمك الله
ان المتهوكين هم ما يقع في تلك الجاهلية من سوء الظن به ان النبي عليه السلام ما قد ذكر قوم من الجاهلية
قوله انتهى لهم الدراة انه يبتدع في الكتب والحديث **وقد صح** انهما فلا اعتراض به اذ نفع لهم
بعضي عليهم قال الله تعالى او انهم لهم اللعنة وقال او ان الناس علمه فعلى من انتهي عليهم الرواية
لئلا يكون قبلها النبي ويعظه بما سلف لهم من ذلك الرواية نعتهم فبل ذلك **ووجه**
ثالث ان قوله عليه السلام انتهى هو لهم الرواية يعبر على معنى لاهم اكبر على معنى التصوير بعلة
بان تعلم لهم ان يتعظهم بعد ما ان النبي لهم قبل ان الرواية لم اعنو وكذلك قال انتهى هي او انتهى هي
قابلتهم غير ما مع **وان** من هذا الشرك ويعتبر **وتوبيخ** النبي لهم ونهى ذمهم على ذلك
بل على علمهم به قبل هذا **الوجه الثالث** ان معنى قوله انتهى هي لهم الرواية الى حكم
لهم حكمه وتبيينه لهم تنسخه الرواية انما هو لمن اهتدى ثم بعد هذا ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ه
مبينا ان الدين موجبا على نحو الكتاب ما تعرفونه فيه **فان قيل** ما معنى قول يوسف عليه
السلام لاخيه اذ جعل السقاية في رحله واخرجها بانهم سرقوا فنادى على اخوته في ذلك و
قوله انكم لسارقون ولم يسرقوا **فاعلم** اكرمك الله ان بين الاعلام ان فعل يوسف

كان من امر الله تعالى لقول الله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله
لا تنفعه اذ كان ذلك علما عليها اذ به كان فيه ما فيه **وايضا** فان يوسف كان اعلم اخاه بانه انا اخوك
فلا تبتئس **وكذا** ما جرى عليه بعد من امر وقعه وترغيبه وعلى تعيين من عضي الحبل به وان اخذ الشيء
والمضي عنه بذلك **واما** قوله ايتها العير انكم لسارقون ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قال عليه
جواب لم تسمه ولعل قائله ان حسب له انه قبل كانوا ممن كان خرج على صورة الغال ان ذلك **وقيل**
قبل قال اذ ذاك لعلمهم قبل يوسف وتعظيمهم له **وقيل** عني بسرقوا اباهم ان يقولوا نتبرا مما انتم باب ابيهم
فالوا حتى يعلم الغلام منه وابيهم في غيره عن غيرهم

فصل

فان قيل ما الحكمة في اجرى الامراض ونزولها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم
السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء والمحن بما امتحنوا به كايوب ويعقوب
وذا النون ويحيى وزكرياء وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته
من خلقه واحباؤه واصفياؤه **فاعلم** وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها
عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون وقال
ليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقال ويعلم الصابرين منكم
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه اياهم في الدنيا تكريما لهم ورفعة لدرجاتهم
واسباب لاستخراج حالاتهم من الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء د
والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم و
موعظة ليسووا بهم في البلاء ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر
ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله طيبين مطهرين وليكون
اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل **حدثنا** الفقيه ابو علي العاقولي ابو الحسن
الصعيدي وابو الفضل بن خمير وغيرهم قالوا ابو يعلى البغدادي ابو علي الصيمي محمد بن محبوب نا

أبو عيسى الترمذي، قتيبة، حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة **وكما** قال تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير الآيات **وعن أبي هريرة** ما يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة **وعن أنس** عنه عليه السلام إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة **وفي** حديث آخر إذا أحب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه **وحكى** السمرقندي أن كل من كان أكرم على الله تعالى كان بلاؤه أشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان أنه قال يا بني الذهب والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء **وقد** حكي أن ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته إليه ويوسف نائم محبة له **و**قيل بل اجتمع يوما هو وابنه يوسف على أكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهما جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه يوسف فعوقب يعقوب بالبكاء أسفا على يوسف إلى أن سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه ألا من كان مفطرا فليتغد عند آل يعقوب **و**عوقب يوسف بالمحنة التي نص الله عليها **وروي** عن الليث أن سبب بلاء أيوب أنه دخل مع أهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه وأغلظوا إلا أيوب فإنه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه **و**محنة سليمان لما ذكرناه من نيته في كون الحق في جنبة أصهاره أو ليعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده **ومن** فضل ترك شكوى المرض والوجع انظر بالنبي عليه السلام **قالت** عائشة ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم **وعن عبد الله** رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت إنك لتوعك وعكا شديدا قال أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك أن

لك أجرين قال أجل ذلك كذلك **وفي حديث** أبي سعيد أن رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء إن كان النبي ليبتلى بالقمل حتى يقتله وإن كان النبي ليبتلى بالفقر وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء **وعن أنس** عنه صلى الله عليه وسلم إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط **وقد** قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به إن المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة **وروي** هذا عن عائشة وأبي ومجاهد **وقال أبو هريرة** عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه **وقال** في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم إلا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها **وقال** في رواية أبي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه **وفي** حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر **وحكمة أخرى** أودعها الله في الأمراض لأجسامهم وتعاقب الأوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتسهل عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك خلاف موت الفجأة وأخذه كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة **وقد** قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا وهكذا **وفي** رواية له من حيث أتتها الريح تكفؤها فإذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله **معناه** أن المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والأمراض راض بتصريفه بين أقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها وترنحها من حيث ما أتتها فإذا أراد الله عن المؤمن رفع البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع

عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه
عليه فإذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ونزوله ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه لعادته بما تقدمه من الآلام ومعرفة ما له فيها من الأجر وتوطينه نفسه على المصائب
ورقتها وضعفها بتوالي المرض أو شدته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله ممتع بصحة
جسمه كالأرزة الصماء حتى إذا أراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة وأخذه بغتة من غير
لطف ولا رفق فكان موته أشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه أشد
ألما وعذابا ولعذاب الآخرة أشد كانجعاف الأرزة وكما قال تعالى فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله تعالى في أعدائه كما قال تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من
أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ففجأ جميعهم بالموت على حال
عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة **ولهذا** ما كره السلف موت الفجأة وفي
حديث إبراهيم كانوا يكرهون أخذة كأخذة الأسف أي الغضب يريد موت الفجأة **وحكمة
ثالثة** أن الأمراض نذير الممات وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد
من أصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الأنكاد ويكون قلبه
معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي الحقوق إلى أهلها
وينظر فيما يحتاج إليه من وصية فيمن يخلفه أو أمر يعهده **وهذا** نبينا صلى الله عليه
وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال أو
حق في بدن وأقاد من نفسه وماله وأمكن من القصاص منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث
الوفاة وأوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالأنصار عيبته ودعا إلى كتب كتاب لئلا
تضل أمته بعده إما في النص على الخلافة أو الله أعلم بمراده ثم رأى الإمساك عنه أفضل وخيرا
وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين وأولياء الله المتقين **وهذا** كله يحرمه غالبا
الكفار لإملاء الله تعالى لهم ليزدادوا إثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى ما

ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون
ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته
وقال موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر والفاجر وذلك أن الموت يأتي المؤمن
وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فهان أمره عليه كيف ما جاء وأفضى إلى راحته من نصب الدنيا
وأذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير
استعداد ولا أهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون فكان الموت أشد شيء عليه وفراق الدنيا أفظع أمر صدمه وأكره شيء
له **وإلى هذا المعنى** أشار عليه السلام بقوله من أحب لقاء الله أحب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام فيمن تنقصه أو سبه عليه السلام

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه قد تقدم
من الكتاب والسنة وإجماع الأمة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم وما يتعين له
من بر وتوقير وتعظيم وإكرام **وبحسب هذا** حرم الله أذاه في كتابه وأجمعت
الأمة على قتل متنقصه عليه السلام من المسلمين وسابه **قال الله تعالى**
إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا **وقال
تعالى** والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم **وقال تعالى** وما كان لكم أن تؤذوا
رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما **وقال تعالى**
في تحريم التعريض له يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين
عذاب أليم **وذلك أن** اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد أي أرعنا سمعك واسمع منا

ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي
المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق إلى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها
من مشاركة اللفظ لأنها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الأدب
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لأنها في لغة الأنصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا
عن ذلك إذ مضمنه أنهم لا يرعونه إلا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال
وهذا هو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن أذاه إذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا أبا
القاسم فقال لم أعنك إنما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى بإجابة
دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة إلى أذاه والإزراء به
فينادونه فإذا التفت قالوا إنما أردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة
المجان والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى أذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء
نهيه عن هذا على مدة حياته وأجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث
مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب إن شاء الله أن
ذلك على طريق توقيره وتعظيمه وعلى سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن
اسمه لأنه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
وإنما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه بكنيته أبا القاسم بعضهم
في بعض الأحوال وقد روى أنس عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه
وتنزيهه عن ذلك إذا لم يوقر فقال تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي أن عمر كتب إلى
أهل الكوفة لا يسمى أحد باسم النبي حكاه أبو جعفر الطبري والصواب جواز هذا كله بعده عليه
السلام بدليل إطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بأبي القاسم
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في ذلك لعلي وقد أخبر عليه السلام أن ذلك

اسم

اسم المهدي وكنيته وقد قال ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد
فصلنا الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه

الباب الأول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب أو نقص من تعريض أو نص

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه اعلم وفقنا الله وإياك
أن جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو
خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير
لشأنه أو الغض منه أو العيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني
فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان أو تلويحا وكذلك من لعنه
أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته
العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة
عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله إجماع من العلماء
وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هلم جرا قال أبو بكر بن المنذر
أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن
أنس والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله
قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة
وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن أبي حنيفة وأصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم أو برئ منه أو كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة
كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد أو كفر كما سنبينه
في الباب الثاني إن شاء الله ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة

وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره وأشار بعض الظاهرية وهو أبو محمد علي بن أحمد الفارسي
إلى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون أجمع العلماء
أن شاتم النبي المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن
شك في كفره وعذابه كفر واحتج إبراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل
خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال
أبو سليمان الخطابي لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما وقال
ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب
ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم
في العتبية من سبه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل وحكمه عند الأمة القتل وقد فرض الله توقيره
وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل أو صلب
حيا ولم يستتب والإمام مخير في صلبه حيا أو قتله ومن رواية أبي المصعب وابن أبي
أويس سمعنا مالكا يقول من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلما
كان أو كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من سب النبي صلى الله
عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وقال أصبغ يقتل
على كل حال أسر ذلك أو أظهره ولا يستتاب لأن توبته لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من
سب النبي من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن أشهب عن مالك وروى
ابن وهب عن مالك من قال إن رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ
أراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا أجمع العلماء على أن من دعا على نبي من الأنبياء بالويل
أو بشيء من المكروه أنه يقتل بلا استتابة وأفتى أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبي
الجمال يتيم أبي طالب بالقتل وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون
صفة النبي صلى الله عليه وسلم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون

صفته هي في صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من
قلب سليم الإيمان وقال أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون من قال إن النبي صلى الله عليه
وسلم كان أسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا
وكذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال أشد من كلامه الأول ثم قال إنما أردت برسول
الله العقرب فقال ابن أبي سليمان للذي سأله اشهد عليه وأنا شريكك يريد في قتله وثواب ذلك
قال حبيب بن الربيع لأن ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل لأنه امتهان وهو غير معزر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجبت إباحة دمه وأفتى أبو عبد الله
ابن عتاب في عشار قال لرجل أد واشك إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال إن سألت أو جهلت فقد
سأل وجهل النبي بالقتل وأفتى فقهاء الأندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد عليه من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته إياه أثناء مناظرته باليتيم وختن
حيدرة وزعمه أن زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها إلى أشباه لهذا وأفتى
فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان
ممن يحضر مجلس القاضي أبي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه أمور منكرة من هذا الباب
في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا عليه السلام فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من
الفقهاء وأمر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب منكسا ثم أنزل وأحرق بالنار وحكى
بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية
للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر حديثا عنه عليه السلام أنه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي أبو عبد
الله بن المرابط من قال إن النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأنه تنقص إذ لا يجوز
ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته وقال حبيب بن ربيع
القروي مذهب مالك وأصحابه أن من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون استتابة

وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي بأذى أو نقص معرضا أو مصرحا
وإن قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وإن اختلفوا في حكم قتله على ما أشرنا إليه ونبينه بعد
وكذلك أقول حكم من غمصه أو عيره برعاية الغنم أو السهو أو النسيان أو السحر أو ما أصابه
من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه أو أذى من عدوه أو شدة من زمنه أو بالميل إلى نسائه فحكم
هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه

فصل في الحجة في إيجاب قتل من سبه أو عابه عليه السلام

فمن القرآن لعنه الله لمؤذيه في الدنيا والآخرة وقرنه الله تعالى أذاه بأذاه ولا خلاف في
قتل من سب الله تعالى وأن اللعن إنما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال إن
الذين يؤذون الله ورسوله الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال
الله تعالى ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم
خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله
أنى يؤفكون أي لعنهم الله ولأنه فرق بين أذاهما وأذى المؤمنين وفي أذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب
والنكال فكان حكم مؤذي الله ونبيه أشد من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الإيمان عمن وجد في صدره حرجا
من قضائه ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا
ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية إلى قوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ولا يحبط
العمل إلا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن
ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم وقال ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا
نخوض ونلعب إلى قوله قد كفرتم بعد إيمانكم قال أهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله
وأما الإجماع فقد ذكرناه وأما الآثار فحدثنا الشيخ أبو عبد الله أحمد

ابن محمد

ابن محمد بن غلبون عن الشيخ أبي ذر الهروي إجازة قال نا أبو الحسن الدارقطني وأبو عمر بن حيويه قالا
نا محمد بن نوح نا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة نا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن الحسين
عن أبيه عن الحسين بن علي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه
ومن سب أصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب
ابن الأشرف وقوله من لكعب بن الأشرف فإنه يؤذي الله ورسوله ووجه إليه من قتله
غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل بأذاه له فدل أن قتله إياه لغير الإشراك
بل للأذى وكذلك قتل أبا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم و
يعين عليه وكذلك أمره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه
عليه السلام وفي حديث آخر أن رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي
فقال خالد أنا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يؤمن جماعة ممن
كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعهد بقتل جماعة منهم
قبل الفتح وبعده فقتلوا إلا من بادر بإسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار
عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى يا معشر قريش ما لي أقتل من بينكم صبرا فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله وذكر عبد الرزاق أن النبي
صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير أنا فبارزه الزبير فقتله
وروى أيضا أن امرأة كانت تسبه صلى الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوتي فخرج
إليها خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتلها وروى أن رجلا كذب على النبي صلى الله عليه
وسلم فبعث عليا والزبير رضي الله عنهما إليه ليقتلاه وروى ابن قانع أن رجلا جاء
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني سمعت أبي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم
يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن أبي أمية أمير اليمن لأبي بكر
أن امرأة هناك في الردة غنت بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع

نفسيهما فبلغ ذلك ابا بكر فقال والله ما فعلت امن لي بحديثهما ان حد الانبياء ليس يشبه
الحدود **وعن ابن عباس** ان امراة من خطمة هجت النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي
بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان **وعن ابن عباس** ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي
صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى
الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها
وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق فغضب على رجل
من المسلمين **وحكى** القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر
ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقلت يا خليفة رسول الله دعني
اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم **قال**
القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب
النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه **ومن ذلك** كتاب عمر بن
عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر فكتب اليه عمر انه لا يحل
قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه
فقد حل دمه **وسأل** الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان
فقهاء العراق افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها
من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد **قال**
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه كذا وقع في هذه الحكاية ورواها
غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم **ولا** ادري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر **وقد** ذكرنا مذهب العراقيين بقتله **ولعلهم**
ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب

فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقتله مالك على اصله
والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه **ويدل** على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او
تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره **ولهذا**
ما حكم له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي
حنيفة والكوفيين **والقول** الاخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا
ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر **وقوله** اما صريح كفر كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل على استحلاله
لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم **قال** اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول
محمد حقا لنحن شر من الحمير **وقيل** قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك
ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل **وقد** قيل ان قائل مثل هذا ان كان
مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا
عنقه ولان لحكم النبي في الحرمة مزية على امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة
لمن سبه عليه السلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره

فصل

فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام
عليك وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد
تاذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر
ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان **فاعلم** وفقنا الله واياك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب
اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم

يتفرقوا عنهم ويقولوا انهم وان يتعبهم وان يسكتوا ما اتبعهم او يقولوا لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكافرين والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عنهم
ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم
بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا
منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتألف اول الاسلام وجمع الكلمة
عليه فلما استقر واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن
خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم
ينظمه قبل في سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف
وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى
وغيرهما ممن آذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه
عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله
ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكان مع ذلك يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم
وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص
سره كما اظهر جهره ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة
وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا
السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد
ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لا تستباح الا
بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا
ترى كيف نبهت عليه عائشة ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى

الله

الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخبث نيتهم فيه لكن لتألفهم نستبقيهم
وحقنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم
وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا
وباطنا وظاهرهم في الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة فالعهد والجوار والناس قريب
عهدهم بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم
بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما
يقول ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول
في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب
اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا
قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم
وهذا بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها
واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير
قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم
ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال
معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله
تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسختها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا
لعل القائل هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي عليه السلام منه
الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الرأي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح

الملما قلنا بما لعلمنا وبما انه من دام في البرية لذا العفو عنه والصفح عليه قبل الحلم فيعاقبه
وكذلك يقال في اليهود اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه
من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون دينكم والسأم والسآمة
الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث
باب اذا عرض الذمي او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس
هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه عليه السلام سواء وقال ابو محمد
ابن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي
من اهل العهد والذمة والحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله
والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين لعلهم يومنون ولذلك ترجم
البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ولما
ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم
من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حينه منهم وانزالهم من صياصيهم وقذف
في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم
وايدي المومنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين
واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم لتكون كلمة الذين كفروا السفلى
وكلمة الله هي العليا فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة
رضي الله عنها انه عليه السلام ما انتقم لنفسه في شيء يوتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله
فاعلم ان هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه او كذبه فان هذه من حرمات
الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب او معاملة من القول
والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل

او

او جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد
الاعرابي شراءه منه فرسه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه واشباه
هذا مما يحسن الصفح عنه او يكون من اذاه اذاء به كلاما وجاء بعضه ان الاسلام يعفو عن
اليهودي الذي سمه وعن الاعرابي الذي اراد قتله وعن اليهود الذين سحروه وقد قيل قتلهم ومثل
هذا مما يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم
بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق

فصل

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه تقدم الكلام في قتل القاصد
لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه
الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في
جهته عليه السلام غير قاصد للسب ولا الازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته عليه
السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب له مما
هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرسالة
او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما
اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه
من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه
ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة
وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل
دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان
عقله في فطرته سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على
ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن سحنون

في الاسواق بسبب النبي صلى الله عليه وسلم في ابنه العرو ويقتل الا ان يعلم نيته او اقر امامه
وعن محمد بن سحنون في رجل ابن عزيز بن عروز ... في مثل هذا وافتى ابو الحسن
القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا و
يفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه
ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد
لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا
بحديث حمزة وقوله للنبي عليه السلام وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه
وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان
حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون

فصل

الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته
او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر
بالاجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي الخلاف
في استتابته وعلى القول الاخر لا تسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان
كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان متسترا بذلك فحكمه حكم الزنديق
لا تسقط قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او
كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا
ليس بنبي او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر
برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه
كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال
ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله

مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم
نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك لانه مكذب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد
ابن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى فهو كافر جاحد
وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي
سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه السلام
باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم
يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر
والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة

فصل

الوجه الرابع ان ياتي من الكلام بمجمل ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله
على النبي او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فها هنا متردد النظر
وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه
فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد
اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى الله على
من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا
كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن
الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم
النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم النبي
صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة ولا مقدمة يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده

الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر
له بهذا عند غضبه **هذا** معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه **وذهب**
الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل **وتوقف** ابو الحسن القابسي في
قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه
حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس
فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف **قال** ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين
والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال **قال** ودم المسلم لا يقدم
عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات لا بد من امعان النظر فيه **هذا** معنى كلامه
وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل
ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر
اجتهاد السلطان **وكذلك** افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من
حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة
السنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب رسوله
عليه السلام وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسالة المتقدمة **ومثل**
هذا يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه
من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل
بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه
وشدة الادب فيه **ولو** علم انه قصد سب من في ابائه من الانبياء على علم لقتل **وقد**
يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال
لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم منه
انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسالتين تقتضي تخصيص بعض ابائه

واخراج

واخراج النبي ممن سبه منهم **قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه**
وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له
الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر
اللفظ **وكان** القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن
اتهمهم من الكفار **وافتى** فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا **وشدد**
القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة
بعض من شهد عليه وهن ثم اطلقه **وشاهدت** شيخنا القاضي ابا عبد الله بن
عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم
يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن
حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه

فصل

الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض
اوصافه او يستشهد ببعض احواله الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه
او لغيره او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق
التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه
وسلم او قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي او ان كذبت
فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء
الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولو العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله عن
عداه وحلم على اكثر مما صبرت **وكقول المتنبي**

انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام **كقول المعري**

كنت موسى وافته بنت شعيب * غير أن ليس فيكما من فقير

على أن آخر البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الإزراء والتحقير بالنبي وتفضيل حال غيره عليه **وكذلك قوله**

لولا انقطاع الوحي بعد محمد * قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه * لم يأته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي **والعجز** محتمل لوجهين أحدهما أن هذه الفضيلة نقصت الممدوح **والآخر** استغناؤه عنها وهذه أشد **ونحو منه** قول الآخر

وإذا ما رفعت راياته * صفقت بين جناحي جبرين

وكقول حسان المصيصي من شعراء الأندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره أبي بكر بن زيدون

كأن أبا بكر أبو بكر الرضا * وحسان حسان وأنت محمد

إلى أمثال هذا **وإنما** أكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف أمثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء وأشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الأندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد أجبنا عنه **و**غرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا أمثلته فإن هذه كلها وإن لم تتضمن سبا ولا أضافت إلى الأنبياء والملائكة نقصا ولست أعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها إزراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها أو معرة قصد الانتفاء منها أو ضرب مثل لتطييب مجلسه أو إغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره وألزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت

عنده

عنده فحق هذا إن درئ عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره وقرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه **ولم يزل** المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به **وقد** أنكر الرشيد على أبي نواس قوله

فإن يك باقي سحر فرعون فيكم * فإن عصا موسى بكف خصيب

وقال له يا ابن اللخناء أنت المستهزئ بعصا موسى وأمر بإخراجه عن عسكره من ليلته **وذكر** القتيبي أن مما أخذ عليه أيضا وكفر فيه أو قارب قوله في محمد الأمين وتشبيهه إياه بالنبي صلى الله عليه وسلم

تنازع الأحمدان الشبه فاشتبها * خلقا وخلقا كما قد الشراكان

وقد أنكروا أيضا عليه قوله

كيف لا يدنيك من أمل * من رسول الله من نفره

لأن حق الرسول وموجب تعظيمه وإنافة منزلته أن يضاف إليه ولا يضاف فالحكم في أمثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا **على هذا** المنهج جاءت فتيا إمام مذهبنا مالك بن أنس وأصحابه **ففي النوادر** من رواية ابن أبي مريم في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه أرى أن يؤدب قال ولا ينبغي لأهل الذنوب إذا عوتبوا أن يقولوا قد أخطأت الأنبياء قبلنا **وقال** عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون أبوه عربيا فقال كاتب له قد كان أبو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي أبدا **وقد كره** سحنون أن يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب إلا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما أمرنا الله **وسئل** القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان **فقال** أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير

والتهوين فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي
الأدب بالسوط والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي
ذكره عندما أنكر حاله من عبوس الآخر إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل
على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول
كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أثنى
على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم
للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل
شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب أليس كان النبي أميا فشنع عليه مقاله وكفره
الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه فقال أبو الحسن أما إطلاق الكفر عليه
فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي أميا آية له
وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه
إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله فيترك لأن قوله لا ينتهي إلى حد القتل وما طريقه الأدب
فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت أيضا مسألة
استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه
آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي
صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب وكان
بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله

فصل

الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره وآثرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك على أربعة
وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن كان أخبر به على وجه الشهادة والتعريف

بقائله والإنكار والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله
وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا
منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان القائل لذلك
ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه في
الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه بما
قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن
من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي
صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى
الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل
مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي
الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد أجمع السلف على
بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد
يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي شهادته قال إن رجا نفاذ الحكم
بشهادته فليشهد وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة والأدب
فليشهد ويلزمه ذلك وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها
مدخلا في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره
لأحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض المتقدمة فمتردد بين الإيجاب
والاستحباب وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع من أمثاله في أحاديث النبي الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع

السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها
للناس وينقضوا شبههما عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن اسد
فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة
الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه
الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا ممنوع وبعضه اشد منعا
وعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم يكن
عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه
زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه
من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول القرآن
مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك
وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان
اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استحسانه
لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه
عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى
غيره فيبادر بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن
حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من
الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به صلى الله عليه وسلم وقراءته
وكتابته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد
اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري

عليه

عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد
به من اهاجي اشعار العرب في كتابه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من
المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم

فصل

الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف
في جوازه عليه وما يطرا من الامور البشرية به ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر
في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته
وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية
ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا فن
خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر
اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء طلبة الدين
ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او يخشى به فتنته
فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص
لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره
برعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله تعالى بذلك عن
موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من
قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة
بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق
لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته على
طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن
مبتداه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة

على نبوته وعصمة معونته أن أحمد الله عز وجل بعد هذا على صفات ابن العربي ومن بلاد من
أشد الهم نشأ بعضها وعلى لغتهم حتى فهم منهم وتكلم من ملحه عقابيرهم واشتباه حاهم إلى كثير من
الأمم غيرهم بإحضار الله تعالى له وقال نبي منهم وبالمؤمنين والتعابير قلوبهم وأحوالهم في
بالملائكة المسومين وقد نوقال ابن ملجم أو في الشايع منعزلين لحسب كثير من الجمال الذي لم
موجب حضوري ومقتضى علوي **ومن هذا** قال من قال حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه
من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه وأمر اليتيم من صفته وأخرى
علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب الأحبار وبهذا
وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرى لأبي طالب **وكذلك** إذا وصف بأنه أمي كما وصفه
الله به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته إذ معجزته العظمى من القرآن
العظيم إنما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به
من ذلك كما قدمناه في القسم الأول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا
لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة إذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وإنما هي آلة لها وواسطة موصلة إليها غير مرادة في نفسها فإذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والأمية في غيره نقيصة لأنها سبب الجهالة
وعنوان الغباوة **فسبحان** من باين أمره من أمر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه
وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا شق قلبه وإخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة
نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا إلى
سائر ما روي من أخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه
ومهنته نفسه في أموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته بين حقيرها وخطيرها
لسرعة فناء أمورها وتقلب أحوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن
أورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن أورد ذلك على غير وجهه وعلم منه

بذلك سوء قصد لحق بالفصول التي قدمناها **وكذلك** ما ورد من أخبار وأحوال سائر
الأنبياء عليهم السلام في الأحاديث مما في ظاهره إشكال يقتضي أمورا لا تليق بهم بحال و
تحتاج إلى تأويل وتردد احتمال فلا يجب أن يتحدث منها إلا بالصحيح ولا يروى منها إلا المعلوم
الثابت **ورحم الله مالكا** فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه
والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس إلى التحدث بمثل هذا فقيل له إن ابن عجلان يحدث بها
فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فأكثرها
ليس تحته عمل **وقد** حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة أنهم كانوا يكرهون
الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم أوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب
على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وإيجازه فلم تكن في حقهم
مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الأمية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب إلا
نصها وصريحها ولا يتحقق إشاراتها إلى غرض الإيجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا
في تأويلها أو حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر **فأما**
ما لا يصح من هذه الأحاديث فواجب ألا يذكر منها شيء في حق الله ولا في حق أنبيائه ولا يتحدث
بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها إلا أن تذكر على وجه التعريف
بأنها ضعيفة المعنى واهية السند **وقد** أنكر الأشياخ على أبي بكر بن فورك
تكلفه في مشكله الكلام على أحاديث ضعيفة موضوعة لا أصل لها أو منقولة عن أهل
الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على
ضعفها إذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها إزالة اللبس بها واجتثاثها من أصلها
وطرحها أكشف للبس وأشفى للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من

جائزة ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه
السلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر
عليه علامات الادب عند ذكره **فاما اذا** ذكر ما قاساه من الشدة ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو
امكنته **واذا** اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اقواله وافعاله عليه السلام تحرى احسن
اللفظ وادب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل
والكذب والمعصية **فاذا** تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار
بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة **واذا**
تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء
حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته **واذا** تكلم في الافعال قال هل تجوز منه
المخالفة في بعض الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز ان
يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي **فهذا** من حق توقيره عليه السلام
وما يجب له من تعزير واعظام **وقد** رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا
فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه في العبارة
ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله **واذا** كان مثل هذا بين الناس مستعملا في
آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه آكد
فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه
ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا **فاما** ما اورده على جهة النفي عنه
والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان
الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره
عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا **وقد** كان السلف تظهر عليهم حالات

شديدة

شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي
من القرآن حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك و
قائله وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه **وبعد**
فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا
ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما
قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا
بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه
التوبة كسائر الحدود **قال الشيخ** ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب
وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده **وقال** ابو محمد بن ابي زيد مثله
واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه **وقال** ابن سحنون من شتم النبي صلى
الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل **وكذلك** قد اختلف في
الزنديق اذا جاء تائبا **فحكى القاضي** ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من
قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه
فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه
بخلاف من اسرته البينة **قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه**
وهذا قول اصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على

بالاظهر المتعين انه حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر
حقوق الآدميين والزنديق ان تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحاق واحمد لا تقبل توبته
وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه
عليه السلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد
كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا
لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي
صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى
منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام
كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين
فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل
حين ارتداده او يقذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد
اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه
وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا تسقطه التوبة
قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر
ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا
والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من سب
النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الآدميين
التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هنا مبني على القول بقتله حدا لا كفرا وهو
يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه
وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل

فحكم له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن نبسط
الكلام فيه فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك مع فصلين اما
مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر
عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واجرينا حكمه في
ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون
عليه الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا
له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد
به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع
اثبات بعض احكام الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة و
اما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه
كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته
ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم
بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله
وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يقتل كافرا بلا خلاف فعلى
هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم
في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى

فصل

اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق
وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور اهل
العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة على تصويب قول
عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء بن ابي

رباح والنخعي والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الراي
وذهب طاوس وعثمان بن حنيف والحسن في آخر قوليه واشهب عنه انه يستتاب وقاله عبد
العزيز بن ابي سلمة وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف و
هو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله صلى الله
عليه وسلم فاقتلوه وحكى الطحاوي عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب
ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والزنديق في ذلك سواء وروي عن علي انه
يقتل الزنديق ولا يستتاب وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء ان ارتددن وبه قال
ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما
من يقتل من مذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن
عمر وهو احد قولي الشافعي وهو قول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار
الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستتابة
ثلاثة وقال مالك يعطى المرتد اذا اخر بعد الثلاثة قوله يحبس ثلاثة ايام ويعرض
عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن بن القصار في تأجيله ثلاثة روايتان عن
مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والتأجيل ثلاثة ايام اصحاب الراي و
روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي مرة
فقال ان لم يتب قتل مكانه واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب
ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات
في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى
المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على من قال يهدد او يضيق
عليه ايام الاستتابة بشيء ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا

ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه
الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار
قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف
ماله اذا خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع وارتد
وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال
ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال
اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة وان تاب
ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر
ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي
والكوفي

فصل

هذا حكم من ثبتت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم
واما من لم تتم الشهادة عليه بل شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت
قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط
عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه
وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال
من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى
اوجبه وتربص به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب
اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل و
لمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون
وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه

مما سوى ذلك من الجرحين بالأدب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال
القابسي في مثل هذا ومن كان أقصى أمره القتل فعاق عائق أشكل في القتل لم ينبغ أن يطلق من السجن
ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى أن يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال
في مثله ممن أشكل أمره يشد في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال
في مسألة أخرى مثلها ولا تهراق الدماء إلا بالأمر الواضح وفي الأدب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فأما إن لم يشهد عليه سوى شاهدين فأثبت من
عداوتهما أو جرحتهما ما أسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فأمره أخف لسقوط الحكم
عنه وكأنه لم يشهد عليه إلا أن يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من أهل التبريز
فأسقطهما بعداوة فهو وإن لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم
هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الإرشاد وبه التوفيق

فصل

هذا حكم المسلم فأما الذمي إذا صرح بسبه أو عرض أو استخف بقدره أو وصفه
بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله إن لم يسلم لأنا لم نعطه الذمة أو العهد
على هذا وهو قول عامة العلماء إلا أبا حنيفة والثوري وأتباعهما من أهل الكوفة فإنهم
قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك أعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض
شيوخنا على قتله بقوله تعالى وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة
الكفر ويستدل عليه أيضا بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الأشرف وأشباهه ولأنا
لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا أن نفعل ذلك معهم فإذا أتوا ما لم يعطوا
عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا أهل حرب يقتلون لكفرهم وأيضا فإن ذمتهم
لا تسقط حدود الإسلام عنهم من القطع في سرقة أموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وإن كان ذلك
حلالا عندهم فكذلك سبهم النبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لأصحابنا ظواهر

تقتضي

تقتضي إطلاق الخلاف إذا ذكره الذمي والوجه الذي نعتمد به سقوط قتلهما من كلام ابن القاسم وابن سحنون
بعد هذا وحكى أبو المصعب الخلاف فيها عن أصحابنا المدنيين واختلفوا إذا سب ثم أسلم فقيل
يسقط إسلامه قتله لأن الإسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم إذا سبه ثم تاب لأنا نعلم باطنه
الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من إظهاره فلم يزدنا ما أظهره إلا مخالفة
للأمر ونقضا للعهد فإذا رجع عن دينه الأول إلى الإسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين
كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه إذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره
وخلاف ما بدا منه الآن فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا إلى باطنه إذ قد بدت سرائره وما
ثبت عليه من الأحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط إسلام الذمي الساب قتله
لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده إلحاق النقيصة
والمعرة به فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من
قبل إسلامه من قتل وقذف وإذا كنا لا نقبل توبة المسلم فأن لا نقبل توبة الكافر أولى قال
مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ في
من شتم نبينا من أهل الذمة أو أحدا من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم وقاله ابن
القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وفي كتاب محمد أخبرنا أصحاب مالك أنه قال من
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ولم يستتب
وروي لنا عن مالك إلا أن يسلم الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر مجملا فقتلتموه
وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما نبينا عيسى
أو موسى ونحو هذا لا شيء عليهم لأن الله تعالى أقرهم على مثله وأما إن سبه فقال ليس
بنبي أو لم يرسل أو لم ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله أو نحو هذا فيقتل وقال
ابن القاسم وإذا قال النصراني ديننا خير من دينكم إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو
سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله

وقال سحنون عن أصبغ لا يقال له أسلم ولا لا تسلم ولكن إن أسلم فذلك له توبة

ففيه الأدب الوجيع والسجن الطويل قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الشديدة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم قال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ أموالنا فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكى أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب وسئل أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة ما له لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس قال مالك أرى أن تضرب عنقه قال ولقد كدت ألا أتكلم فيها بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء

تسليم

قتله

قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقه حيا إذا تهافتوا في سبه ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال فأمرني مالك فكتبت بأن يقتل وتضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم يحرق بالنار فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول إسلامها ودرء القتل عنها به قاله غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال أبو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي أبو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه بإسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله فأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين فتأمله

فصل في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه

اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق وقال أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستترا بذلك وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس

من المهل اثبيه نفيه وكذلك لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه
وسائر أحكامه حكم الإسلام ولو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان
كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار
وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر مرتد غير تائب
ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن
القاسم في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن أعلن كفره مثله
قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين
الذي ارتد إليه ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه وقال
أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فأما
المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث وقال أبو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل
عليه بينة أو لم تقبل إنه يصلى عليه وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب
فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم أو أعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه
للمسلمين وقال بقول مالك إن ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة والشافعي
وأبو ثور وابن أبي ليلى واختلف فيه عن أحمد وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن
المسيب والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والأوزاعي والليث وإسحاق وأبو حنيفة
يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه في ارتداده
فللمسلمين وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه حسن بين وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون
واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك
بينة فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد
من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد أن ميراثه

لجماعة

لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال به أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة
وعبد الملك ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه
به وتاب فقتل فلا يورث وإن لم يقر حتى مات أو قتل ورث قال وكذلك كل من أسر كفرا
فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني
يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون فأجاب
أنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى كلامه واختصاره

الباب الثالث في حكم من سب الله تعالى وملائكته وأنبياءه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه

لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال
ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن
يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى
دين دان به وأظهره فيستتاب وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد
الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب
وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك
كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما
حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان فزل لساني فقال يقتل
بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله تعالى فمعذور واختلف
فقهاء قرطبة في مسألة هارون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير
التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي

هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم أستوجب هذا الكل فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد
بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وأفتى
أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل
عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه إلى
التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق
لغير الله فأشبه قصد الكفر بغير سب الله وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة
للإسلام ووجه ترك استتابته أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل
اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له
بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذا انتقل من دين إلى دين آخر وأظهر السب بمعنى الارتداد فهذا
قد أعلم أنه قد خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المستمسك به وحكم هذا حكم
المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه على ما
بيناه قبل وذكرنا الخلاف في فصوله

فصل

وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر
ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت
بجارحة أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده
واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون
فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم
وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون
وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد
العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وقال

عيسى عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل
البدع والتحريف لتأويل كتاب الله يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم
لورثتهم وقال مثله أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم
أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه ومثله في المبسوط في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع
قال وهم مسلمون وإنما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم
من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما استتيب فإن تاب وإلا قتل وابن حبيب وغيره من أصحابنا
يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة وقد روي أيضا عن سحنون
مثله فيمن قال ليس لله كلام أنه كافر واختلفت الروايات عن مالك فأطلق في رواية
الشاميين أبي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري فقال
لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم وروي عنه أيضا أهل الأهواء
كلهم كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى وأشار إلى شيء من جسده يد أو سمع أو بصر
قطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال أيضا
في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه
يقتل ولا تقبل توبته وقال القاضي أبو عبد الله البرنكاني والقاضي أبو عبد الله التستري
من أئمة العراقيين جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله
في إعادة الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدري وأكثر أقوال السلف
تكفيرهم وممن قال به الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن قال
بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع وحفص بن غياث وأبو إسحاق الفزاري وهشيم
وعلي بن عاصم في آخرين وهو قول أكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية
وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع المتأولين وهو قول أحمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة
والشاكة في هذه الأصول وممن روي عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب

وابن عمر والحسن البصري وهو قول جماعة من الفقهاء والنظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة
والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام
الاسلام عليهم قال اسمعيل القاضي وانما قال مالك في القدرية وسائر اهل
البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد في الارض كما قال في المحاربين ان رأى الامام
قتله وان لم يقتل قتله وفساد المحاربين انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل في
امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل في امر الدنيا
بما يلقون بين المسلمين من العداوة

فصل في تحقيق القول في اكفار المتأولين

قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع وذوي الاهواء المتأولين ممن قال قولا
يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف
ومنهم من ابى ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا
هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون لا
اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال
لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب الآخرون في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
او ضده واختلاف قولي مالك في ذلك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو
من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا
باسم الكفر وانما قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول امامه مالك
ابن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على رأي من كفرهم بالتأويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل
ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد وقال
ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل

وكذلك

وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من
يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته
لابي محمد عبد الحق وكان سأله عن المسألة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في
الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز
من التكفير في اهل التأويل فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر
اهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة
ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث
الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية وقوله لا
سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج
وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر عنها
بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك
دون اشراك وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج والزور وغير معصية واذا كان محتملا
للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه
صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا
وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به
من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر انما ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله
من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم هنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله
لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه
يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤون القرآن لا يجاوز

احتجاجهم بما قد خرج أن عليًّا لم يكفرهم وكذلك قوله فيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا
يعودون حتى يعود السهم على فوقه وبقوله ويتمارى في الفوق وأنه يدل على أنه لم يتعلق من الإسلام بشيء.
أجابه الآخرون بأن معنى لم يعودوا أي لا يتعلقون منه بشيء فهم لا يعلق بقلوبهم ولا تنشرح
له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وقابل ذلك بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي التشكك في حاله.
وإن احتجوا بقول أبي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يخرج في هذه الأمة ولم يقل يخرج من هذه الأمة وتحرير أبي سعيد الرواية وإتقانه اللفظة
أجابهم الآخرون بأن العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الأمة بخلاف
لفظة من التي هي للتبعيض وكونهم من الأمة مع أنه قد روي عن أبي ذر وعلي وأبي أمامة وغيرهم
في هذا الحديث يخرج من أمتي وسيكون من أمتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على إخراجهم
من الأمة بفي ولا على إدخالهم فيها بمن لكن أبا سعيد رضي الله عنه أجاد ما شاء في التنبيه
الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من
الألفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم في الرواية هذه المذاهب المعروفة لأهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة أقربها قول جهم ومحمد بن شبيب
أن الكفر بالله الجهل به لا يكفر أحد بغير ذلك وقال أبو الهذيل إن كل متأول كان تأويله
تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من أثبت شيئا قديما لا
يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين إن كان ممن عرف الأصل وبنى عليه وكان فيما
هو من أوصاف الله فهو كافر وإن لم يكن من هذا الباب ففاسق إلا أن يكون ممن لم يعرف
الأصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري إلى تصويب أقوال المجتهدين
في أصول الدين فيما كان عرضة للتأويل وفارق في ذلك فرق الأمة إذ أجمعوا سواه على أن
الحق في أصول الدين في واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وإنما الخلاف في تكفيره وقد
حكى القاضي أبو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الأصبهاني وقال وحكى قوم عنهما

أنهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من أهل ملتنا أو من
غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في أن كثيرا من العامة والنساء والبله ومقلدة
النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم إذ لم تكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد
نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالإجماع على كفر من لم يكفر
أحدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين أو وقف في تكفيرهم أو شك قال
القاضي أبو بكر لأن التوقيف والإجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف أو
شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع إلا من كافر

فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر

اعلم أن تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه و
الفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة أحد غير
الله أو مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق أصحاب الاثنين من الديصانية و
المانوية وأشباههم من الصابئين والنصارى واليهود والمجوس والذين أشركوا بعبادة الأوثان
أو الملائكة أو الشياطين أو الشمس أو النجوم أو النار أو أحد غير الله من مشركي العرب وأهل الهند
والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع إلى كتاب وكذلك القرامطة وأصحاب الحلول والتناسخ
من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من اعترف بإلهية الله ووحدانيته
ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم وأنه محدث أو مصور أو ادعى له ولدا أو صاحبة أو والدا
أو أنه متولد من شيء أو كائن عنه أو أن معه في الأزل شيئا قديما غيره أو أن ثم صانعا للعالم
سواه أو مدبرا غيره فذلك كله كفر بإجماع المسلمين كقول الإلهيين من الفلاسفة والمنجمين
والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج إليه ومكالمته أو حلوله في
بعض الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك

نقطع على كفر من قال بقدم العالم أو بقائه أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية أو قال بتناسخ الأرواح وانتقالها أبد الآباد في الأشخاص وتعذيبها أو تنعيمها فيها بحسب زكائها وخبثها.

وكذلك من اعترف بالإلهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من أصلها عموما أو نبوة نبينا خصوصا أو أحد من الأنبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والأروسية من النصارى والغرابية من الروافض الزاعمين أن عليا كان المبعوث إليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة والإسماعيلية والعنبرية من الرافضة وإن كان بعض هؤلاء قد أشركوا في كفر آخر مع من قبلهم.

وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ولكن جوز على الأنبياء الكذب فيما أتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه أو لم يدعها فهو كافر بالإجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة وأصحاب الإباحة فإن هؤلاء زعموا أن ظواهر الشرع وأكثر ما جاءت به الرسل من الأخبار عما كان ويكون من أمور الآخرة والحشر والقيامة والجنة والنار ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وإنما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم إذ لم يمكنهم التصريح لقصور أفهامهم فمضمن مقالاتهم إبطال الشرائع وتعطيل الأوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما أتوا به.

وكذلك من أضاف إلى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه وأخبر به أو شك في صدقه أو سبه أو قال إنه لم يبلغ أو استخف به أو بأحد من الأنبياء أو أزرى عليهم أو آذاهم أو قتل نبيا أو حاربه فهو كافر بالإجماع.

وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء في أن في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود ويحتج بقوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير إذ ذلك يؤدي إلى أن توصف أنبياء هذه الأجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الإزراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع إجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله.

وكذلك نكفر من اعترف من الأصول الصحيحة بما تقدم ونبوة نبينا

عليه

عليه الصلاة والسلام ولكن قال كان النبي أسود أو مات قبل أن يلتحي أو ليس الذي كان بمكة والحجاز أو ليس بقرشي لأن وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به.

وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا عليه السلام أو بعده كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان وأشباههم أو من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة.

وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عليه السلام أنه خاتم النبيين لا نبي بعده وأخبر عن الله أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا.

وكذلك وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بإبطال الرجم. **و**لهذا نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره ما أظهر من خلاف ذلك.

وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم عليا وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم **وإلى هذا** والله أعلم أشار مالك في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم أنه

الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله **وكذلك** نكفر بكل فعل اجمع المسلمون انه لا يصدر الا من
كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم وللشمس والقمر
والصليب والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس
فقد اجمع المسلمون ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح
صاحبها بالاسلام **وكذلك** اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر
والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة
وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا
بالنقل المتواتر من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر
وجوب الصلوات الخمس وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله تعالى علينا في كتابه
الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في
القرآن نص جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد **وكذلك** اجمع
المسلمون على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان
الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول
بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة
كل شيء لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم **وكذلك** ان انكر منكر مكة او
البيت او المسجد الحرام او صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة كذلك ولكن
كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري هل
هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا
ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت
صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك ان تسال عن هذا الذي لم تعلمه
بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم

ان هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي
صلى لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال
هي صفة عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وان
صفات الصلاة المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وابان
حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر بعد
البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن
التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدري **وايضا** فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه
من ذلك واجمعوا انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله به ادخل
الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة ومن قال
هذا كافر **وكذلك** من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل
الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة
ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله صلى الله
عليه وسلم ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول **وكذلك**
نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق
السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم
باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به **وكذلك** من انكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه
انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام
واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره
بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه
وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث او الحساب او القيامة فهو كافر باجماع للنص
عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا **وكذلك** من اعترف بذلك ولكنه قال

ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية
ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيامة
الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة **وكذلك**
نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء **فاما** من انكر ما
عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار
قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي
مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار
وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة
علي من خالفه **فاما** من ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع
فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة **فاما** من انكر الاجماع المجرد الذي
ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين والفقهاء والنظار في هذا الباب
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما
وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية **و**قوله عليه السلام
من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه **و**حكوا الاجماع على تكفير من خالف
الاجماع **وذهب** اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الكائن عن
نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به
خارق للاجماع **قال القاضي ابو بكر** القول عندي ان الكفر بالله هو
الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون
هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا
من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر
بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى **و**الثاني ان ياتي فعلا او يقول

قولا نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى
الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم او يكون ذلك القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله
تعالى **قال** فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان
فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله
ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص
ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها **و**على هذا حمل قول
سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين كما قدمناه **فاما**
من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء هاهنا فكفره بعضهم **و**حكي ذلك عن ابي
جعفر الطبري وغيره **و**قال به ابو الحسن الاشعري مرة **وذهبت** طائفة الى ان هذا لا يخرجه
عن اسم الايمان **و**اليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه
دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق **واحتج** هؤلاء بحديث السوداء وان النبي
صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد لا غير **و**بحديث القائل لئن قدر الله علي **و**في رواية
فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل **وقد اجاب** الاخر عن هذا الحديث بوجوه
منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ
كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقل او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله
بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها **وقيل** انما قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه
ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهبت لبه فلم يؤاخذ به **وقيل**
كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد **وقيل** بل هذا من مجاز كلام العرب
الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله

لعله يتذكر أو يخشى وقوله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين فأما من أثبت الوصف ونفى الصفة فقال أقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه إليه قوله ويسوقه إليه مذهبه كفره لأنه إذا نفى العلم انتفى وصف عالم إذ لا يوصف بعالم إلا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما أدى إليه قولهم وهكذا عند هذا سائر فرق أهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير أخذهم بمآل قولهم ولا ألزمهم موجب مذهبهم لم ير إكفارهم قال لأنهم إذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي ألزمتموه لنا ونعتقد نحن وأنتم أنه كفر بل نقول إن قولنا لا يؤول إليه على ما أصلناه فعلى هذين المأخذين اختلف الناس في إكفار أهل التأويل وإذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الحتم عليهم بالخسران وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنه يغلظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الأول فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما أزاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم لأنهم فساق ضلال عصاة أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي أبو بكر وأما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الأفعال وبقاء الأعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من إكفار المتأولين فيها أوضح إذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا أجمع المسلمون على إكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما أغنى عن إعادته بحول الله

فصل

فصل

هذا حكم المسلم الساب لله تعالى وأما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم في المبسوطة وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب وقال ابن القاسم في المبسوطة إلا أن يسلم طوعا قال أصبغ لأن الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد وأما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من أهل الذمة الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل إلا أن يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن أبي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان أو كافرا فإن تاب وإلا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال أبو محمد بن أبي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل إلا أن يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الأندلسيين في النصرانية وقتلها بتسميتها بالوجه الذي كفرت به لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وإجماعهم على قتلها وهو نحو قول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لأنا عاهدناهم على أن لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وأن لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم غيره واختلف العلماء في الذمي إذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم وأصبغ لا يقتل لأنه خرج من كفر إلى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لأنه دين لا يقر عليه أحد ولا يؤخذ عليه جزية قال ابن حبيب وما أعلم من قاله غيره

فصل

مسألة حكم من صرح بسبه تعالى وإضافة ما لا يليق بجلاله وذا مشيئته فلا مثنوية في
الكفر عليه بما ذكره وتعلى بالخطأ بادعاء الإلهية أو الرسالة أو نفى أن يكون الله خالقه أو ربه
أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه فلا خلاف في كفر
قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه
إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه من شديد العقاب
ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف
استهانته بما أتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا
نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران حكم الصاحي وأما
المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر
فيه وما فعله من ذلك في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك
لينزجر عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالي أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه من
ادعى له الإلهية وقد قتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل
ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم
والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي
قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا
الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي الغراقيد
وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا أيام الراضي بالله وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو
الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال
أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو مرتد وقال
ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه وهو

كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقال أشهب في يهودي تنبأ وادعى أنه رسول إلينا إن
كان معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن بارئه
وادعى أن لسانه زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر
من أنه لا تقبل توبته وقال أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله إن تاب
أدب فإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لأن هذا كفر المتلاعبين

فصل

وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه وأهمل لسانه بما
يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض ما عظم الله
من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر
والاستخفاف ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه
بحرمة ربه وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده
يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من
فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج يوما فأخذه المطر فقال بدأ
الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى بن وهب
وأبان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب
وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه
في عنقي أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له إنا إذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى
ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب
من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة في
هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم وأما من صدر عنه من ذلك الهنة

النواحي كلها والقلة الفادحة مما لم يكن تسخطا وإزراء فيعاقب عليه ويؤدب بقدر مقتضى ما
شنعه معناه وصورة حال قائله وشرح سببه ومقارنه وقد سئل
ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم لبيك فقال إن كان
جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه قال القاضي أبو الفضل رحمه
الله عنه وشرح قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو
قالها على اعتقاد إنزاله إياه منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد
أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتحميقيهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة
فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص مسائل
حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول وأما
ما ورد في هذا من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب

رب العباد ما لنا وما لكا ۞ قد كنت تسقينا فما بدا لكا ۞

۞ أنزل علينا الغيث لا أبا لكا ۞ في أشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه
ثقاف تأديب الشريعة والعلم في هذا الباب فقلما يصدر إلا من جاهل يجب تعليمه وزجره
والإغلاظ له عن العودة إلى مثله قال أبو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول
والله تعالى منزه عن هذه الأمور وقد روينا عن عون بن عبد الله أنه قال ليعظم
أحدكم ربه أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول أخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا قال وكان
بعض من أدركنا من مشايخنا قلما يذكر اسم الله تعالى إلا فيما يتصل بطاعته وكان يقول
للإنسان جزيت خيرا وقلما يقول جزاك الله خيرا إعظاما لاسمه تعالى أن يمتهن في غير
قربة وحدثنا الثقة أن الإمام أبا بكر الشاشي كان يعيب على أهل الكلام
كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته إجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل
وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على

النحو الذي فصلناه والله الموفق

فصل

وحكم من سب سائر أنبياء الله وملائكته واستخف بهم أو كذبهم فيما أتوا به أو أنكرهم
وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى
إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الآية وقال تعالى
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم الآية إلى قوله لا نفرق بين أحد منهم
وقال كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله قال مالك
في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم وأصبغ وسحنون
فيمن شتم الأنبياء أو أحدا منهم أو تنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من أهل الذمة قتل إلا
أن يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الأنبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفر ضربت عنقه إلا أن يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الأصل وقال
القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض أجوبته من سب الله وملائكته ورسله قتل
وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر
عن مالك فيمن قال إن جبريل أخطأ بالوحي وإنما كان النبي علي بن أبي طالب استتيب فإن تاب
وإلا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان
النبي أشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال أبو حنيفة وأصحابه على أصلهم من كذب بأحد
من الأنبياء أو تنقص أحدا منهم أو برئ منه فهو مرتد وقال أبو الحسن القابسي
في الذي قال لآخر كأنه وجه مالك الغضبان لو عرف أنه قصد ذم الملك قتل قال
القاضي أبو الفضل وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين
أو على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه أو حققنا
علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالإجماع القاطع كجبريل وميكائيل ومالك

وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمي فيه من
الأنبياء وعزرائيل وإسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق على قبول
الخبر بهما **فأما** من لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع على كونه من
الملائكة أو الأنبياء كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم وآسية
وخالد بن سنان المذكور أنه نبي أهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس والمؤرخون نبوته
فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه إذ لم تثبت لهم تلك الحرمة **ولكن**
يزجر من تنقصهم وآذاهم ويؤدب بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله
منهم وإن لم تثبت نبوته **وأما** إنكار نبوتهم أو كون الآخر من الملائكة فإن كان
المتكلم في ذلك من أهل العلم فلا حرج عليه لاختلاف العلماء في ذلك وإن كان من عوام
الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فإن عاد أدب إذ ليس لهم الكلام في مثل هذا **وقد**
كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لأهل العلم فكيف بالعامة

فصل

واعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو كذب بشيء أو جحده
أو حرفا منه أو آية أو كذب به أو بشيء منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر
أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته على علم منه بذلك أو شك في شيء من ذلك فهو كافر
عند أهل العلم بإجماع **قال الله تعالى** وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد **حدثنا** الفقيه أبو الوليد هشام بن
أحمد حدثنا أبو علي حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا أبو داود حدثنا أحمد
ابن حنبل حدثنا يزيد بن هارون حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال المراء في القرآن كفر تؤول بمعنى الشك وبمعنى الجدال **وعن** ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله فقد حل ضرب عنقه وكذلك إن جحد

التوراة

التوراة والإنجيل وكتب الله المنزلة أو كفر بها أو لعنها أو سبها أو استخف بها فهو كافر
وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي
المسلمين مما جمعه الدفتان من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس أنه كلام
الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه
حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي
وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدا لكل هذا أنه كافر **ولهذا**
رأى مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لأنه خالف القرآن ومن خالف القرآن
قتل أي لأنه كذب بما فيه **وقال** ابن القاسم من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل
وقاله عبد الرحمن بن مهدي **وقال** محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب
الله عز وجل تضرب عنقه إلا أن يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه **قال** وكذلك
إن شهد شاهد على من قال إن الله تعالى لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه أنه قال إن الله
لم يتخذ إبراهيم خليلا لأنهما اجتمعا على أنه كذب النبي صلى الله عليه وسلم **وقال**
أبو عثمان الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون أن الجحد لحرف من التنزيل كفر **وكان**
أبو العالية إذا قرأ عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول أما أنا فأقرأ كذا فبلغ ذلك إبراهيم
فقال أراه سمع أنه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله **وقال** عبد الله بن مسعود من
كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله **وقال** أصبغ بن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد
كذب به كله ومن كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله **وقد**
سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه
بذلك شاهد ثم شهد آخر أنه سأله عن القضية فقال إنما لعنت توراة اليهود **فقال**
أبو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الأمر بصفة تحتمل التأويل إذ لعله لا يرى
اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن

الشورى محمد الطالقاني وثبل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقرئ
أحد أئمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته وإقرائه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف
وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا أشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير أبي علي
ابن مقلة في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان فيمن أفتى عليه بذلك أبو بكر الأبهري
وغيره وأفتى أبو محمد بن أبي زيد بالأدب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما
علمك وقال أردت سوء الأدب ولم أرد القرآن قال أبو محمد وأما من لعن المصحف
فإنه يقتل

فصل

وسب آل بيته وأزواجه وأصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله
حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ثنا أبو الحسين الصيرفي
وأبو الفضل العدل قالا ثنا أبو يعلى ثنا أبو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن
يحيى ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا عبيدة بن أبي رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن
مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي الله الله في أصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن
آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال عليه السلام لا تسبوا أصحابي فإنه
يجيء قوم في آخر الزمان يسبون أصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا
تجالسوهم وإن مرضوا فلا تعودوهم وعنه عليه السلام من سب أصحابي فاضربوه
وقد أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبهم وأذاهم يؤذيه وأذى
النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في أصحابي ومن آذاهم فقد آذاني وقال

لا تؤذوني في عائشة وقال في فاطمة رضي الله عنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها
وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والأدب
الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم
أصحابه أدب وقال أيضا من شتم أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبا
بكر أو عمر أو عثمان أو عليا أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال كانوا على ضلال وكفر
قتل وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب
من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبا شديدا ومن زاد إلى بغض أبي
بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به
القتل إلا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر أحدا من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربا وحكى
أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون فيمن قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلالة وكفر
قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك من سب
أبا بكر رضي الله عنه جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف
القرآن وقال ابن شعبان عنه لأن الله يقول يعظكم الله أن تعودوا لمثله
أبدا إن كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى أبو الحسن الصقلي أن القاضي
أبا بكر بن الطيب قال إن الله تعالى إذا ذكر في القرآن ما نسبه إليه المشركون سبح نفسه لنفسه
كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه المنافقون إلى
عائشة فقال ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في
تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من
سب عائشة ومعنى هذا والله أعلم أن الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها
سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه وأذاه بأذاه تعالى وكان حكم

موجبه تعلق القتل بكل من هو في سببه لزنا كما افترينا، وشتم رجل عائشة بالكوفة
فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين
وحلق راسه واسلمه الى الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله
ابن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم
احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي ان عمر بن الخطاب اتي
باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه قال مالك من انتقص
احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في
ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا الاية ثم قال والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
الاية وهؤلاء هم الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب
ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين
حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله
عليه السلام من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي
كافرة حد حد الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له
والا فمن قام به من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق
غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام واشهد عليه كان
ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته
والاخر انها كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول
وروى ابو مصعب عن مالك من سب من انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا
وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه

وسلم

وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة بالليل
وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد
والسجن الطويل والفقيه الذي صوب قوله هو اخق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم
اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه

هنا انتهى القول بنا فيما حررناه وانتجز الغرض مما انتحيناه واستوفى
الشرط الذي شرطناه مما ارجوا ان يكون في كل قسم منه للمريد مقنع
وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع
وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته
غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتدى يفيدنيه عن
كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عما اروّيه والى الله تعالى
جزيل الضراعة في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع
لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف مصطفاه
وامين وحيه واسهرنا به جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا
من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم
عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن
تهمم باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه وذخيرة نجدها يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصى
زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل

شفاعته ونحمده تعالى على ما مَنّ الله به من جمعه وأتممه ۞ وفتح
البصيرة لمن لم يزل حظا يوما ما أودعناه وفهمه ۞ ونستعيذه من حلول النقمة من
دعاء لا يسمع ۞ وعلم لا ينفع ۞ وعمل لا يرفع ۞ ومن الجوار الذي لا يخيب
من أمله ۞ ولا ينتفع من خذله ۞ ولا يرد دعوة أصفيائه الصديقين ۞ ولا يصلح عمل
المفسدين ۞ وهو حسبنا ونعم الوكيل ۞ وصلوات الله وسلامه على سيدنا
محمد خاتم النبيين والمرسلين ۞ وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين ۞

١٩٥